

قافلة الزيت
شعبان ١٣٨٨ اكتوبر - نوفمبر ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثامن — المجلد السادس عشر

تصدر شهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير والمدير المسؤول: منصور مدني
المحرر المساعد: عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران ، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف



تهدف الأبحاث الجيولوجية الى استخراج الزيت من مكامنه حتى آخر قطرة ، ويبدو في الصورة الجيولوجي يعقوب طليل أثناء دراسة بعض المستحاثات وتصنيفها .
(راجع المقال)
تصوير : عبد اللطيف يوسف

مطابع المطوع — al mutawa press

محتويات العدد

الصفحة

إصباح مشرق ..

ليل بهيم ، وسكون مطبق . ثم يرتفع صوت المؤذن في نغم شجي مناديا : « حي على الفلاح .. الصلاة خير من النوم » ، وتردد الأجواء صدى نداه ، فتعمر القلوب بالدعة والايمان .

وتظهر خيوط النور الفضية في الأفق ، ثم تتسلل عبر النافذة ، ويخفت ضوء الأنجم الساهرة ، ثم لا تلبث أن تختفي ، كأنما قد أجهدها طول السهاد فرأت ان تؤوب الى خدرها . وينساب النسيم البارد العليل نديا عبقا بشذى الأزهار والرياحين ، فيملأ الجو عبيرا ، ويبعث في الأنفس نشوة . وتبدو قطرات الندى على الأزاهر وأوراق الشجر ، وكأنها درّ قد نثر . وتصدح العصافير في أكنتها ، والعنادل على أراكها . ويرتفع زقاء الديكة .. الذي لا يلبث أن يختلط شيئا فشيئا بأصوات الباعة الجوالين ، وكل منهم يتغنى ببضاعته .. في مهرجان الصباح البهيج .

وترسل ذكاء أشعتها الذهبية عبر الأفق ، وهي تبدو في خفر ، وكأنها حسناء أسدلت على وجهها نقابا شفافا نسجت خيوطه من نضار .

وتسرح الطير في طلب رزقها في الحقول الخضراء النضرة على مد البصر .

ويتململ الرضيع في فراشه ، يناغي الخيوط العسجدية المنثورة من حوله ، بصوت طروب ، وتكسو محياه ابتسامة عذبة بريئة ، فكأنما يبتسم للصباح من حوله ويستجيب لانتفاضة الكون لبدء الحياة من جديد ، حتى اذا ما دنت من فراشه حانية محبة .. أم أضفت على وجهها اشراقة الرضا والسرور ، تحولت مناغاته الى حركة لاهفة ، وكركر ضاحكا صارخا ، فمع المرح والحبور ، يريد قوت صباحه .. المشرق الجميل .

وينهض الناس ، صافية نفوسهم ، نشطة أبدانهم ، عبقة آمالهم ، لاستقبال يوم جديد ، لهم فيه حيوات ، وقد نسوا ما لاقوه في أمسهم من نصب وكدر ، واستعدوا للعمل بجد وعزم صادق أكيد ، « فالبركة في البكور » ، ولا مجال للهم والحزن في نفوسهم المشرقة مع اشراقة الصباح .

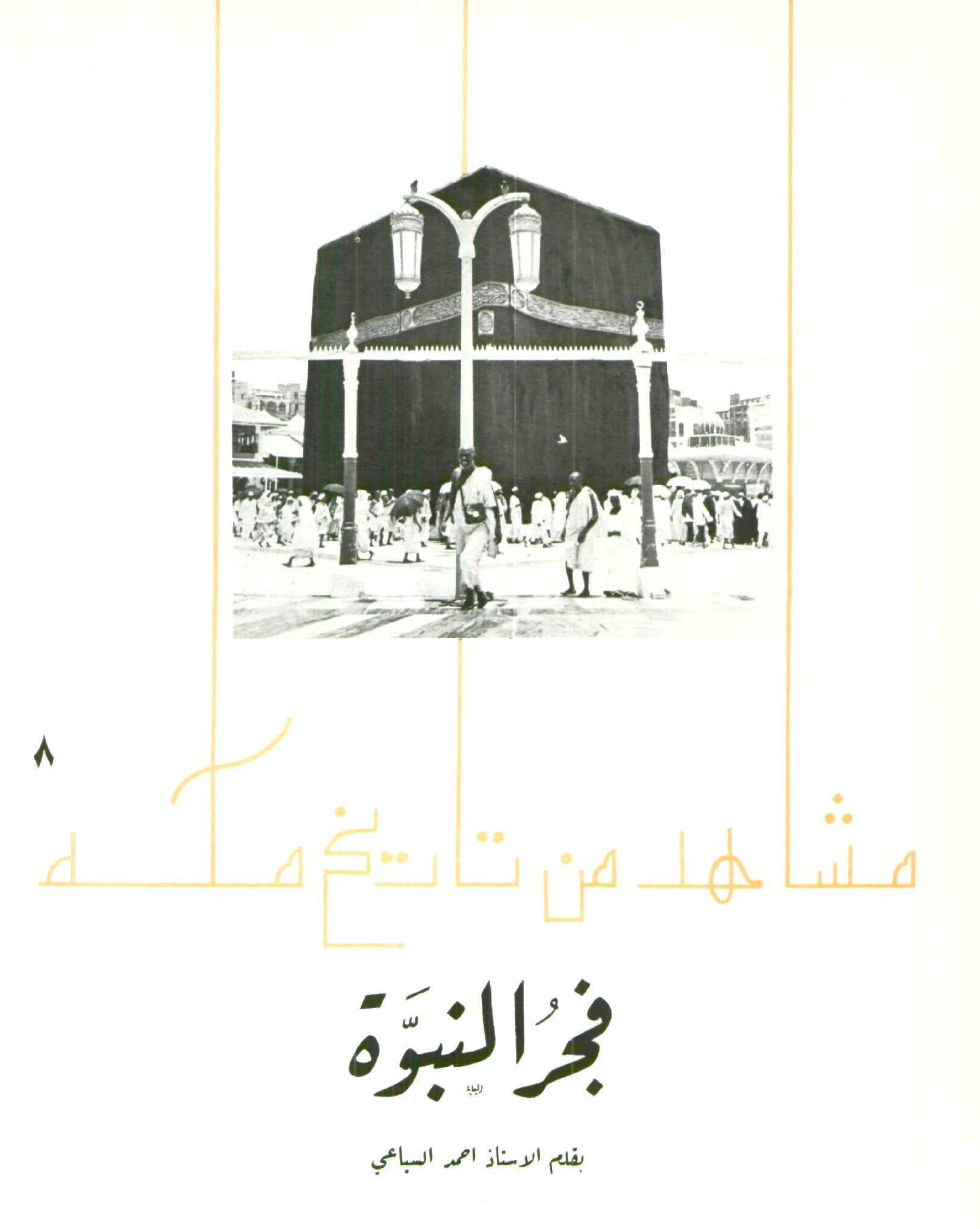
بيد أن الناس ليسوا كلهم من جبلة واحدة ، فمنهم من يسترخي في فراشه كسلا ، ويقوم متثاقلا ، كأنما أوكل اليه أن يحمل هموم البشر جميعا ، غير حافل باشراقة الصباح ، ولا بذكاء وخيوطها الذهبية ، ولا بالندى أو الشجر ، ولا بالنسيم أو الزهر .. يكاد غمه يخنقه ، ويكاد انقباضه يحجب عن عينيه بهجة ميلاد يوم جديد .

وواتاني في هذا قول الشاعر :

طلع الصباح ، فما ابتسمت ، ولم ينر وجهي الصباح

فعجبت منه ، ورثيت له !

رئيس التحرير



٨

مشاهد من تاريخ مكة

فجر النبوّة

بقلم الاستاذ احمد السباعي

كأنه بين عيني الآن ..
ما أروع ما أرى !
ما أروع هذه الانطلاقة !
ما أروعها ، وهي تستصفيه صلوات الله وسلامه عليه ، لتمعن به بعيدا عن زيف الحياة !
ما أروعها وهي تسمو به بعيدا عن مباذل قريش .. بعيدا عن ضلالها ، وعن ترهاتها وأوشابها !
ما أروعها وهي تحلق به في فضاء الله الواسع ، وقد سجا الليل ، ولمعت نجومه في وميض خافت لا يتبين فيه الطريق الى حراء ، الا بالكاد .
ها هوذا .. وقد طواه الغار في اطراقة طويلة !! لم يطو الا جسمه . أما روحه ، وتأملاته التي لا تنتهي بنهاية ، فقد انتقلت بعيدا عن الغار تعانق ما بين الأفق والأفق .
ترى فيم خلق كل هذا ؟ وما حكمة صنعه ؟
ترى أي سر يندلع في هذا الوهج الذي تشع به هذه الكواكب ؟ وأي يد جبارة دحت هذه الغبراء ، وبنت هذه السماء ، ومدت بينهما في هذا الأفق الذي لا يتناهى ؟
« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ! »
هذه الانطلاقة في ملكوت الله الأعلى استصفته للحقائق العالية ، وشغلته عن شهوات الحياة ، وهدته الى هدم عقائد أمته الضالة ، وأعدته ليصنع من جديد تاريخ الحياة ، بعد أن أضاء الالهام ما بين جنبيه ، وبدأت الرؤيا الصادقة تتبلج أمام ناظريه تبلج الشمس في عالية الضحى .
اذن ليبدأ خطوته الأولى ، و « ليصدع بما يؤمر ويعرض عن المشركين » .
وأي مشركين هم ؟ ! لقد كانوا رغم نضج العقلية السائدة فيهم لا يحجرون على متعة ، ولا ينكرون على مستبيح لذة .
كانت القيم الاخلاقية تزن الأشياء بمعايير خاصة . فليس من السمو الاخلاقي في مقاييسها ان تهادن في عصبية ، أو تنحاز الى غير قومك مهما كان ظلمهم ، أو أن تنسى ثأرك مهما كان لونه ، أو تسلم بقاعدة يكون الفخر فيها لغير بني أبيك .
أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما يؤمر في وسط يعتنق هذه المبادىء ويدين بها ، كما يدين العابد بأقدس ما يعتقد ، فلم يكن على النبي أن يقاوم ما عبدوا من أوثان أو نسكوا من منسك فقط ، بل عليه أن يصمد لهذه القيم الاخلاقية التي تسود المجتمع حوله ، والتي لا تستسيغ الوحدة تضيع فيها معالم القبلية .

أمر النبي أن يصدع بما يؤمر وهو رجل من بني هاشم . فأي دعوة هذه التي ينقاد لها بنو عبد مناف ، وبنو زهرة ، وبنو تميم ، وبنو مخزوم ، وبنو أسد ، وسائر البطون من قريش ، والفخوذ من كنانة ، والقبائل من عدنان ؟
انها الاستهانة بكيان الافخاذ وأمجادها في عرفهم وانها الاستكانة لداع سيحوز الفخر لبني هاشم دونهم !
فما بالهم لا يقاومون ؟ ما بالهم لا يتكبرون على الدعوة ، ويكابرون في الحق ضنا بكيان الفخذ وكرامة القبيلة ؟ وما بالهم لا يجافون هذا الإعداد الذي يصهرهم غدا في بوتقة تنسيهم تراث آبائهم وتقضي على معالم كل ما ورثوا ؟
لا تستغرب ما أقول .. واذا بدا لك أن تتثبت ، فالأمر لا يكلفك الا أن تتبعني .
أترى هؤلاء المتجمهرين في فم شعب الهواشم ؟ انهم صفوة القوم من قريش ، يتهادى في طليعتهم عظيم مكة أبو سفيان .
أتسألني : فيم القوم ؟
انهم منذ الأمس في مرج عظيم ، غصت دار الندوة بكبارهم ، يبحثون الجلل ، ويدرسون خطره الداهم ، ويندبون في نهاية جلساتهم بعض صفوتهم ، تحت أمرة أبي سفيان ، ليتداركوا عند أبي طالب بعض ما أصابهم . دونك فانظر .. انهم في هذا يتجمهرون في فم الشعب . فهلا تمض في ساقتهم ، لعلنا نتسقط بعض ما يدور .
أتسمع ؟.. انه صوت أبي سفيان : يا أبا طالب ان ابن أخيك سب آلهتنا ، فاما أن تكفه عنا ، أو تخلي بيننا وبينه .
ترى هل يكفه عنهم ؟
لقد تسامعت قريش أن أبا طالب ردهم ردا جميلا .. وان أبا سفيان ما لبث ان أعاد الكرة في رهط من كبار قومه يستنجز الوعد : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا . وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا . لتكفه عنا أو ننازله ، واياك ، حتى يهلك أحد الفريقين .
ترى هل نهاه عنهم ؟
لقد تسامعت قريش أن أبا طالب مشى في نفر من أهله الى بيت محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال له : ابن أخي أبق على نفسك وعلي ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق !
قالها في نبرة معبرة ولهجة سافرة . ولكن محمداً عليه الصلاة والسلام ، صانع التاريخ ، لم يتلكأ ولم يدار ، بل أرسلها قوية صارخة : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته . »
قالها في حروف ناطقة وأسلوب صريح لا محل فيه للمواربة .
فما ملك العم الشيخ الا أن جمع أطراف عباءته ، وهو يشد على يده : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه .
وتمضي الأيام آخذة برقاب بعضها البعض ، ويمضي معها محمد دائبا في دعوته كما تمضي قريش ممعنة في أذاه ، حتى يقف به عتبة ابن ربيعة ، مندوبا من قريش ، فيهيب بهذا الطود الشامخ : انك منا يا ابن أخي حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا ، لعلك تقبل بعضها ، ان كنت تريد تشريفا سودناك علينا ، فلا نقطع امراً دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ .
أرأيت يا صاحبي كيف تساق العروض الهادئة ، وكيف يوطأ لها بالفرش الوثير الناعم .
المال يا صاحبي .. زينة الحياة والجاه نهاية الرغائب فيها .
المال والجاه .. ما أكثر ما يبعث بهما همم ، وما أكثر ما خفرت من أجلهما ذمم ! وما أكثر ما نسيت في سبيلهما مبادىء ، وضاعت باغرائهما مذاهب وعقائد !
ولكن محمدا ، رسول رب العالمين ، يجيبه : « دونك يا عتبة آيات من التنزيل تحضرني الآن . »
ثم يتلو عليه سورة السجدة حتى نهايتها ، فتأخذه روعة ما يسمع ، ويترك فيه الاعجاز بالغة الأثر . فلا يلبث أن ينصرف الى قومه ، بغير ما توجه : أرى يا قوم أن تتركوا محمدا للعرب . فان تغلبوا عليه استرحتم ، وان اتبعوه افتخرتم .
ألا تراها قولة حكيمة ، ورأيا بالغ السداد ؟!
وأنه كان في مكنتهم أن يتحاشوا الكثير ، وان يظفروا بما لا يحلمون .

° ° °

أسمعك تسميه عنادا .. ايه يا صاحبي فهو عناد ، وهو بعد العناد أو قبله ان شئت .. كفر وتضليل وحسد .
ما معنى أن يعترض الرسول الكريم علج من

اعلاج البادية ، فيسفي التراب على وجهه الشريف؟!

وما معنى أن يصادفه قدم من فساق العرب وهو يصلي ، فيعمد الى كرش يفرغ فرثه عليه في فظاعة لا تطاق ؟!

أتحسبهم يرون أن قسوتهم ربما صرفته الى طريقهم ، أو فتت في عضده ، وفلت من عزيمته ؟!

ان الحادثة التالية تنبؤنا بم نجيب :

دخل مرة صلوات الله وسلامه عليه الى مخدع فاطمة ، ابنته ، على أثر عدوان من هذا اللون المقيت . فما ان رأت فاطمة أثر العدوان على وجهه الشريف ، حتى ذرفت دمعتها . فما زاد على أن ربت كتفها قائلا : « لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك ! »

هذه نفوس كبيرة لا تقيس الكرامة بالمقاييس التي تعترض حياتنا العامة. وهذه أحاسيس لا يجرحها سفيه أو علج يعترضها ، أو غوغاء يتألبون على أذاها . وهذا اخلاص من نوع خاص ، لا يألم كما نألم في سبيل غاياتنا ، ولا يثنيه ما يثنينا عن مآربنا في الحياة .

أتدري ؟

لقد مضت قريش أشد ما تكون عنادا ، وأغلظ ما تستطيع قسوة ، فلم يثنه كل ما فعلوا قيد شعرة عما أراد .

وقال قائل منهم ما يمنعنا أن نقاطعه وأصحابه فلا نخالطهم ، ولا نؤاكلهم ، ولا نبايعهم ، بل ولا نتحدث اليهم .

فعقدوا خناصرهم على هذا الرأي ، وهم يرجون أن يدب اليأس فيهم ، فيتخاذلوا . وما علموا أن للايمان حصانة عديمة النظير .

عقدوا خناصرهم على ما رأوا واستوثقوا من أنفسهم بصك ضمنوه اتفاقهم . فانحاز محمد وأصحابه الى أحد شعاب مكة ، يطوون أنفسهم على الحرمان والجوع ، دون أن يبالوا بآلام ما انطووا عليه .

ظل محمد كما هو محمد ، وظل أصحابه هم أصحابه .. ليس منهم من لانت قناته ، أو عجم عوده ، أو تراخى تحت تأثير ما يقاسي .

وكان محمد مع هذا ، ورغم هذا ، ينسل من بين الفجاج الوعرة ، كلما آذنت الأشهر الحرم الى مواقف الحجيج ، ليصرخ في رواد مكة من حواشي الجزيرة « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » .

يا لجلال هذه العظمة ، ويا لقوة هذا الثبات النادر ! ■

من شعر المباسطات في المهاجر الأمريكية

عثرت على هذه المطارحات بعد أن صدرت الطبعة الثالثة من كتابي « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية » ، فلم أذكرها في فصل (شعر المباسطات) ، ولكنني سوف أثبتها في الطبعة الرابعة متى شاء الله .

جورج صيدح

في « سان باولو » – أكبر حواضر البرازيل – طائفة من شعراء حمص النابهين ، تمثل « أم الحجار السود » أحسن تمثيل ، كما مثلها قبلهم في نيويورك شاعرا العاصي الشهيران نسيب عريضة ، وندرة حداد . كانت تقام سوق عكاظ حيث يجتمعون ، وتشيع البهجة والمراح حين يتنادرون . ثلاثة منهم تحملوا مرارة الفقر لا شاكين ولا باكين ، بل كان يفتح عليهم بأعذب الشعر كلما انسدت في وجوههم ابواب الرزق . هم : حسني غراب ، ونصر سمعان ، وميشال المغربي .

كانوا أيام الطفر بعدما تتهرأ ثيابهم من طول الاستعمال يعجزون عن شراء ثياب جديدة تستر عريهم ، فيفتحون صناديقهم ويستخرجون منها أثوابا عتيقة يلبسونها جديدة . هذا الظرف المشترك بينهم وصفه الشاعر حسني غراب تحت عنوان « طفران جوعان عريان » :

لم يبق لي من ثياب العز ، واحزني ، ... الا بقية أطمار على بدني
يكاد يبدو لرائيها بلا تعب ... سري الخفي ، كما يبدو له علني
يمشي رفاقي وأمشي خلفهم حذرا ... من أن يروا ما على ثوبي من الدرن

فعارضه الشاعر نصر سمعان بعنوان « ثوبي القديم » :

اعطف على ثوبك المهجور من قدم ... وضمه ضمة العشاق في الظلم
وقل له : يا حبيب القلب معذرة ... عما أصابك من عثة ومن هرم
قد صار فقري يريني فيك زخرفة ... تفوق بالحسن نقش العرب والعجم
اذا دهتك من الأقدار داهية ... دفعت عنك بدمعي هاطلا ودمي
ولا أقول بمال ، لست أملكه ... اذ لا دفاع عن الموجود بالعدم
فقر عينا ، لأنت اليوم متكلي ... وركن عزي ، فان تنشق انهدم
وأنت ألزم من جلدي الى بدني ... فاسبل نسيجك من رأسي الى قدمي

وحدث بعد ذلك أن « نصرا » ارتقى درجة في معارج الفلاح لما استعمله شقيقه الأكبر بدر سمعان في مصنعه ، فداعبه حسني بقوله :

يا نصر ويل أخ ولاك « فبركة » ... أمسيت فيها على العمال قواما
أضعت في بعض يوم كل ما تعبت ... يداك في جمعه يا نصر أعواما
من للقوافي ، وقد جرعتهن أسى ... وللمعاني وقد غودرن أيتاما
قد كنت تنظمها في ما مضى غررا ... واليوم تنثرها في الطرس أرقاما

ودارت الأيام تحمل في طياتها السنين العجاف ، وتبشر بالسنين السمان ، فبعد ان كان الشاعر ميشال المغربي يستدر رزقه من أشق الأعمال انتقل من حال الى حال ، فدخل صفوف التجار ، ثم افتتح مصنعا للأزرار . فهنأه جاره توفيق ضعون بهذه الأشعار :

أصبحت يا صاح منهم ، لم تعد منا ... اذ أين ميشال من توفيق أو حنا ؟
أنت المقيم بقصر ضيقه فرج ... ونحن نسكن كوخا يشبه القنا
القوم كل حديث منك يعجبهم ... ولا يعيرون ما نروي لهم أذنا
لكن رضينا لأن الحب يجمعنا ... والحب يجمع من غنى بمن أنا
ما دمت تصنع أزرارا فنحن عرى ... هيهات ، ما لك يوما غنية عنا ..

أيام عمري

للشاعر طاهر الزمخشري

آهـات نفسي فـي الألحـان أنثرها ... فاجمع ان اسطعت بالكفـين آهاتي
وكـل واحـدة تـروي بذبحتهـا ... كم قـد سكبت عليها من حشاشاتي !
أطـوي الحياة عليلا أحتسي ألمي ... والحب عاصفـهُ تيـار علاتـي
وقـد عبرت بـه موج الأثير على ... معزاف صادحـة تشدو بخفقاتـي

حتى المراح الـذي قـد كنت أبسطه ... عـلى الجراح تـنزّى بالشقـاوات
وكـان ليـلـي بـآمـال مغـردة ... ناغى عـلى الصمت من حولي تعلاتي
فـان شكوت مـن البلـوى تمزقني ... تنـاغـم النجمـة الغـنّـاء أناتي
تحنو وترسل مـن أنفاسها عَـبَقـاً ... روّى بطيّـبـه الأعماق من ذاتـي
فان سكبت فؤادي في الهيام به فلا ... يزال الصدى يـروي حكـايـاتـي

دقـات قلـبي عـلى القرطاس أنثرها ... ومـن دمائـي مـداد للعـبارات
فاسمع اذا شئت مـا تندى بـه شفتي ... لأن رجع الصدى تغريـد دقاتـي
وقـد عزفـت بـه لحنـا مقاطعـه ... أوتـار قلب تروّى بـالصبابـات
نـثرت حباتـه فـي كل أغنـيـة ... بهـا تطـوف على الدنيـا ابتساماتي
فاسمع صداها ومـن أنفاس فاتنـة ... أشاعت الرجـع منهـا بالبشاشات
وكان فـي كبـدي نـار مؤججة ... قـد أطفئت فـي الحنايـا بالمناغاة
أسرى بـه الحسن أنفاسا مـرددة ... ولا يـزال الصدى يطـوي المسافات
وفـي الجوانـح ريّ لا أزال بـه ... أعطـي النشيـد نفوسا بالنـداءات
فمـا تهامس إلـف عنـد نشوتـه ... مـع الأليف سويعـات المناجـاة
الا ومنـي لـه معـزاف نـابضة ... شدا بهـا الصفو في دنيـا المودات
أيام عمري عـلى الأشجان أنثرهـا ... وللتباريـح لـم أبخـل بليلاتـي
وكان وجـه ربيعـي أخضرا نضرا ... أيـامـه البيض تسخو بالمسرات
ومـن دمائـي قد أرويت زاهـره ... ومن أزاهيره وشّيْـت أوقـاتـي
ألهـو وأمـرح والأيـام تضحك لي ... أضن حـتى عـلى البلوى بدمعاتـي
فغالبتني شجون مـا برمـت بهـا ... لكن وهبت حيـاتـي للمعانـاة
أغـالـب الشجن الكاوي وأقهـره ... حـتى تمـرد فأربدتْ سويعاتـي
قسا علـيّ فلـم أعبـأ بقسوتـه ... لكن رجعت الى شادٍ بطيـاتـي

ولا يزال الصبا فـي كل جارحـة ... يرف يـدفـع بـي وثبـا لغايـاتي
وفـي الجـوانح نـيران أقلبـهـا ... يمنـى ويسرى تغـذيهـا انتفاضاتي
وبين جنبـي معزاف ، وفي شفتي ... نشيده العـذب دفـاق العطـاءات



أدب نسخ المخطوطات

بقلم الدكتور الطاهر احمد مكي

ربما كان الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ (١٠٧١م) ، أول من عالج القضايا المتعلقة بنسخ المخطوطات في كتابه : « تقييد العلم » . ثم جاء ابن جماعة المتوفى عام ١٢٧٣م فألف كتابه : « تذكرة السامع والمتكلم ، في أدب العالم والمتعلم » ، عالج فيه أسلوب الرواية ، وطرائق التدوين ، وشرائط النسخ . ومن بعده جاء عالمان متعاصران هما : « العلوي عبد الباسط بن موسى بن محمد » ، المتوفى سنة ٩٨١هـ (١٥٧٣م) ، و « البدر الغزي » المتوفى سنة ٩٨٥هـ (١٥٧٧م) فألف أولهما : « المعيد في أدب المفيد والمستفيد » ، وألف ثانيهما : « الدر النضيد » . فاذا وصلنا الى القرن السابع عشر وجدنا « الحسين بن القاسم المنصور » ، المتوفى عام ١٦٤٠م ، ينقل عنهم ويسير على نهجهم في كتابه : « كتاب في آداب العلماء والمتعلمين » .

وأول ما يلحظه الدارس لهذه الكتب أنها تعنى بالتفاصيل العلمية أكثر مما تعنى بالقواعد العامة ، وان مؤلفيها ، وقد كانوا مدفوعين بأهداف دينية ، يضعون في المقام الأول من عنايتهم ما يفيد علوم الفقه والحديث والتفسير . وان كانت الملاحظات التي أبدوها والمعلومات التي توفروا على دراستها وتسجيلها تخدم العلوم جميعا . ويهمنا منها ، على نحو خاص ، القواعد التي كان النساخ يعملون في ظلها ، ومنها : ان الناسخ اذا نسخ شيئا من كتب العلم الشرعية استقبل القبلة ، وتحرى أن يكون طاهر البدن والثياب والحبر والورق . ثم يبتدىء كل كتاب بكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم » . واذا كان مصنف الكتاب تركها كتابة ، يكتبها هو . ثم يكتب : قال الشيخ ، أو قال المصنف ، ثم يشرح في كتابة ما صنفه المصنف . واذا فرغ من كتابة الكتاب أو الجزء يختم الكتابة بالحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بقوله : آخر الجزء الأول أو الثاني مثلا ، ويتلوه كذا وكذا ، ان لم يكن قد أكمل الكتاب ، فان أكمله يقول : تم الكتاب الفلاني . وكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم مثل : تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقدس ، أو تبارك ، ويتلفظ بذلك . وكلما كتب اسم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كتب بعده عليه الصلاة والسلام ، أو صلى الله عليه وسلم ، ولا يختصر الصلاة في الكتابة كأن يكتب صلعم ، أو صلع ، أو صلم ، أو صم ، أو صلسم . واذا مر بذكر أحد من الصحابة كتب : رضي الله عنه ، أو رضوان الله عليه . أو مر بذكر أحد الأئمة ، ولا سيما الأعلام وهداة الاسلام ، كتب رحمه الله ، أو رحمة الله عليه ، أو تغمده الله برحمته ولا يكتب الصلاة والسلام لغير الأنبياء والملائكة الا تبعا ، ومتى سقط من ذلك شيء فلا يتقيد به ، بل يثنيه مع النطق به . واختار أحمد بن حنبل اسقاط الصلاة والسلام والترضي والترحم رواية مع نطقه بذلك .

ولا يهتم المشتغل بالنسخ بالمبالغة في حسن الخط ، وانما يهتم بصحة النص وتصحيحه واذا كان يملك نسختين من كتاب ، أحدهما أصح نصا ، والآخر أجمل منظرا ، ثم اضطر الى بيع نسخة منهما ، يحتفظ بالنسخة الصحيحة ، ويبيع الجميلة بالمنظر . ويجتنب التعليق جدا ، وهو خلط الحروف التي ينبغي تفرقتها ، والمشق ، وهو سرعة الكتابة مع بعثرة الحروف . وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : « شر الكتابة المشق ، وشر القراءة الهذرمة (أي السرعة فيها) وأجود الخط أبينه » . ولا يكتب بحروف دقيقة لا تبين له ولا لغيره اذا مرّ حين من الدهر ، فكلت العين وضعف البصر . ويحرص الناسخ أن لا يكون القلم صلبا جدا فيمنع سرعة الجري ، ولا رخوا فيسرع اليه الحفي ، وان تكون السكين حادة جدا لبراية الأقلام وكشط الورق ، ولا تستعمل في غير ذلك ، ويكون ما يقط عليه القلم صلبا . ويراعى في آداب الكتابة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لمعاوية : « ألق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى ، فانه أذكر لك » .

وكره الناسخون في الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه ، كعبد الله ، أو عبد الرحمن ، أو رسول الله ، فلا يكتب عبد أو رسول آخر السطر ، والله أو الرحمن ، أو رسول أول السطر الآخر لقبح صورة الكتابة .

وكان الناسخ يتوخى أن يقابل كتابه بأصل صحيح موثوق به ، فالمقابلة ضرورية للكتاب الذي يرام النفع به ، واذا صح الكتاب بالمقابلة على أصل صحيح أو على شيخ ، يعجم المعجم ، ويشكل المشكل ، ويضبط الملتبس ، ويتفقد مواضع التصحيف . أما ما يفهم بلا نقط ولا شكل فلا يعتنى به لعدم الفائدة . وقيل : ينبغي الاعجام والشكل للمكتوب كله ، المشكل وغيره ، لأجل المبتدىء في ذلك الفن ، لأن المبتدىء لا يميز ما يشكل مما لا يشكل ، ولا صواب الاعراب من خطئه ، وقد يكون الشيء واضحا عند قوم مشكلا عند آخرين .

ويقوم الناسخ بضبط الملتبس من الأسماء التي لا يدخلها قياس وليس قبلها أو بعدها شيء يدل عليها . واذا احتاج الى ضبط المشكل في الكتاب وبيانه في الحاشية المقابلة فعل ، لأن الجمع بينهما أبلغ في الابانة . واذا كتب كلمة مشكلة من القلم لسواد كثير فيه ونحوه أوضحها في الحاشية ، وكتب فوقها « بيان » أو « ن » . وقد يكتبها في الحاشية بصورتها ، أو يكتبها مقطعة بالأحرف بالضبط ليأمن اللبس والاشتباه ، أو أن يضبطها بالحروف كقوله : بالحاء المهملة ، والدال المهملة ، والتاء المثناة ، والثاء المثلثة ، ونحوه . ومما يلتحق بضبط المعجم أن يكتب في باطن الكاف المعلقة كافا صغيرة أو همزة ، وفي باطن اللام صورة نطقها على هذا النحو : « لام » ، ولا يكتب صورتها : « ل » .

ويكتب الناسخ على ما صححه وضبطه في الكتاب ، وهو في محل شك عند مطالعته أو تطرق اليه احتمال ، كلمة « صح » صغيرة . ويكتب فوق ما وقع في التصنيف أو في النسخ ، وهو خطأ ، « كذا » لعله كذا ان غلب على ظنه وعلى ما أشكل عليه ولم يظهر له وجهه رأس صاد مهملة مختصرة من كلمة « صح » على هذا النحو « ص » ، فان صح بعد ذلك وتحققه يصلها « بحاء » فتبقى « صح » ، والا كتب الصواب في الحاشية . قيل : والغاية من كتابة « الصاد » أولا الى أن الصحة لم تكمل ، ثم الى تنبيه الناظر على أن الناسخ متثبت في نقله غير غافل ، فلا يظن أنه غلط فيصلحه .

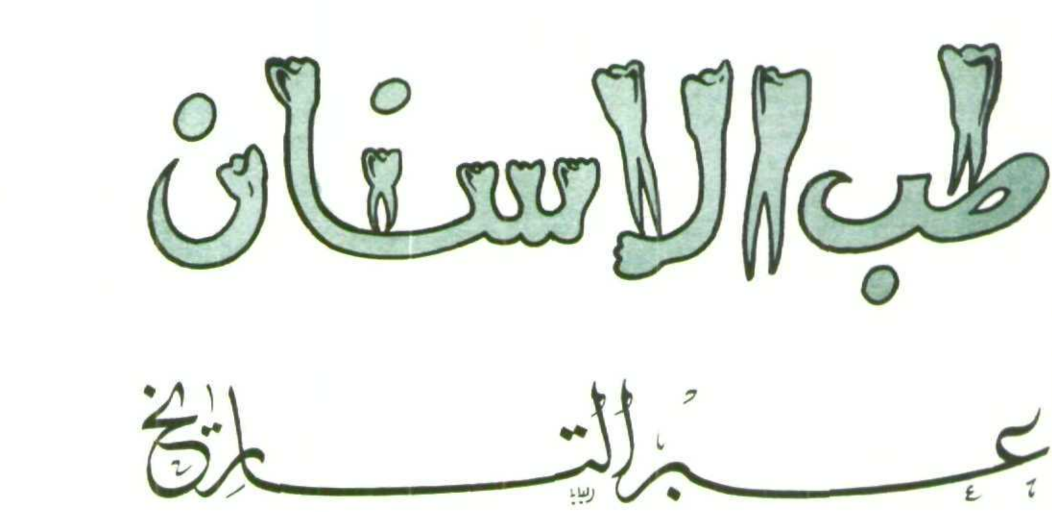
واذا وقع في الكتاب زيادة ، أو كتب فيه شيء على غير وجهه ، تخير الناسخ فيه بين ثلاثة أمور : الكشط ، وهو سلخ الورق بسكين ونحوها ويعبر عنه ، بالبشر وبالحك ، وغيره أولى منه ، لكن هو أولى في ازالة نقطة أو شكلة . والمحو ، وهو الازالة بغير سلخ ان أمكن ، وهو أولى من الكشط . والضرب على المكتوب ، وهو أجود من الكشط والمحو ، لا سيما في كتب الحديث .

ويفصل الناسخ بين كل كلامين أو حديثين بنصف دائرة أو قلم غليظ ، ولا يصل الكتابة كلها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود . ورجحوا نصف الدائرة على غيرها .

ومع رواج الثقافة وحاجة الناس الى الكتاب والعجلة في النسخ ، تعارف نساخ المخطوطات على عدد من الاختصارات تظهر واضحة في كثير من المخطوطات . وبعضها قديم يرجع الى محاولات ضبط الكتابة الأولى ، ويستخدمه عامة الناس اليوم . فرأس الصاد التي تكتب أعلى الألف (آ) مقتبسة من كلمة « وصل » ودلالة عليها ، ورأس الشين (س) مأخوذ من شد علامة على التشديد ، ثم أسقطت النقط . والكثير من هذه الاختصارات اختفى بفعل الطباعة ، في حين أن الفصل بين الجمل بات يخضع الآن لقواعد معينة ويرسم في أشكال خاصة جاءت نتيجة تأثير الثقافة الأوروبية المعاصرة ، واقتباسا منها ، كالفصلة ، والفصلة المنقوطة ، وعلامة الاستفهام ، وعلامة العجب ، والنقطتان ، وغيرها .

وقد احتفظ المصحف الشريف باختصاراته التزاما لرسمه العثماني ومبالغة في ضبطه وتيسيرا لقراءته . كما بقي بعضها في كتب الحديث ومصادر الأدب الأولى .

واذا كانت بعض الاختصارات من عمل نساخ المخطوطات ، فان بعضها غير معروف ما اذا كان من صنعهم أم ان المؤلفين مالوا اليها واستخدموها ، فمن المؤلفين ، وبخاصة مؤلفي المعاجم والكتب التي لها الصفة نفسها ، من يتخذ الاختصار وسيلة للتخفيف من حدة تضخم الكتاب ، لأن الكلمة المختصرة قد تتكرر في الصفحة الواحدة ، ولمعنى واحد ، أكثر من مرة . وقد جرت العادة ، ما لم يكن الاختصار معروفا متداولا ، أن يشير المؤلف في مقدمة الكتاب الى ما يستخدمه منه ، فيبين الكلمة واختصارها ، حتى يمكن للقارىء أن يرجع اليها اذا استغلق عليه الأمر ■



طب الأسنان عبر التاريخ



تحمل هـذه المزهرية التي يعود تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد أول نقش معروف لجراحة الفم .

ان التقدم الذي أحرزه طب الأسنان منذ نصف قرن مضى يدفع الى الاعتقاد بأن هذا الفرع من فروع الطب والجراحة انما يعبر هذه الأيام بدء حقبة مشرقة من تاريخه الطويل . فقد اكتشفت آثار ونقوش دلت على ان شعوب العالم عرفت طب الأسنان ومارسته منذ نحو أربعة آلاف سنة .

بقلم الدكتور شفيق سليم الريس

عرف الانسان طب الأسنان منذ القدم ، كما عرف النحت ، والموسيقى ، والطب ، والهندسة . وقد تطور هذا الطب عبر العصور ، كغيره من العلوم ، وأصبح في يومنا الحاضر متشعب الفروع والاختصاصات ، كالتجميل ، والجراحة ، وصنع الجسور الثابتة والمتحركة ، وما الى ذلك .

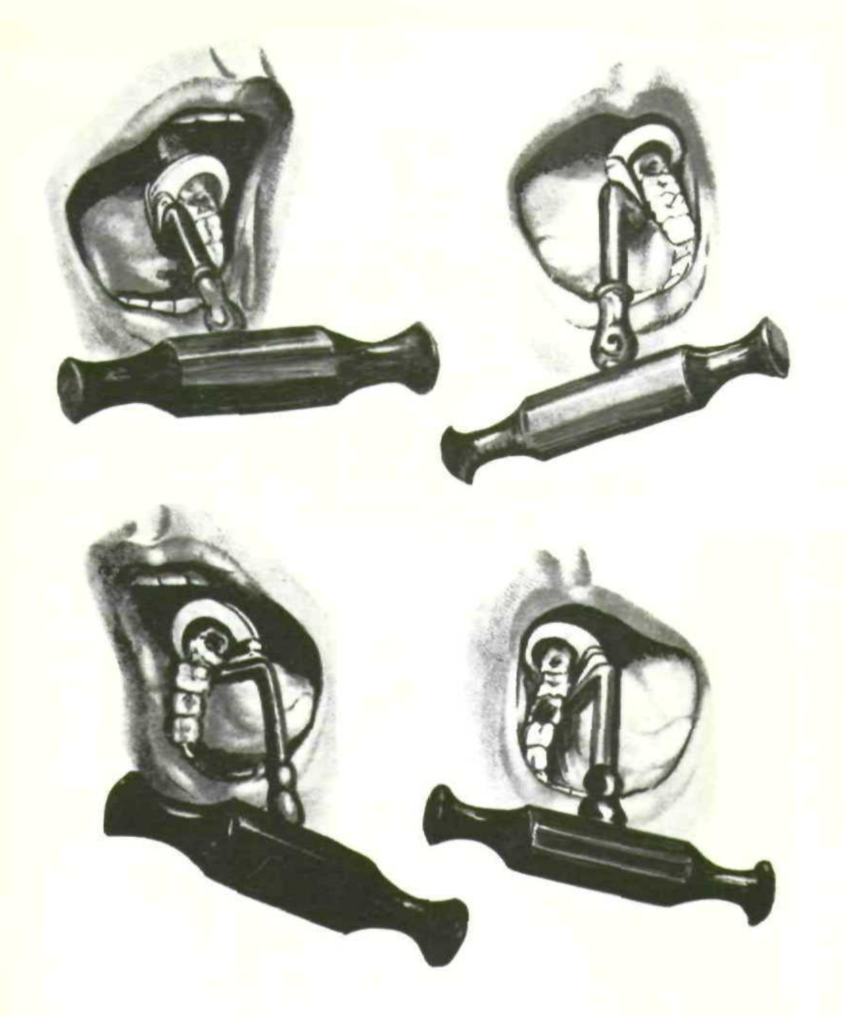
فلو ألقينا نظرة سريعة على الماضي البعيد ، ربما استطعنا أن نستخلص فكرة واضحة عن طب الأسنان ومراحل تطوره منذ القدم حتى يومنا هذا ، وأن نكشف عن الدور الذي قام به أسلافنا العرب في هذا المضمار .

من المعروف أن الانسان القديم ترك آثارا جليلة تدل على مدى معرفته لطب الأسنان وطرق معالجتها ، بيد أن تلك الطرق كانت بدائية ، وهي تختلف اختلافا كبيرا عما هي عليه في العصر الحاضر ، خصوصا طرق تقويم الأسنان وصنع الجسور والطقوم الاصطناعية .

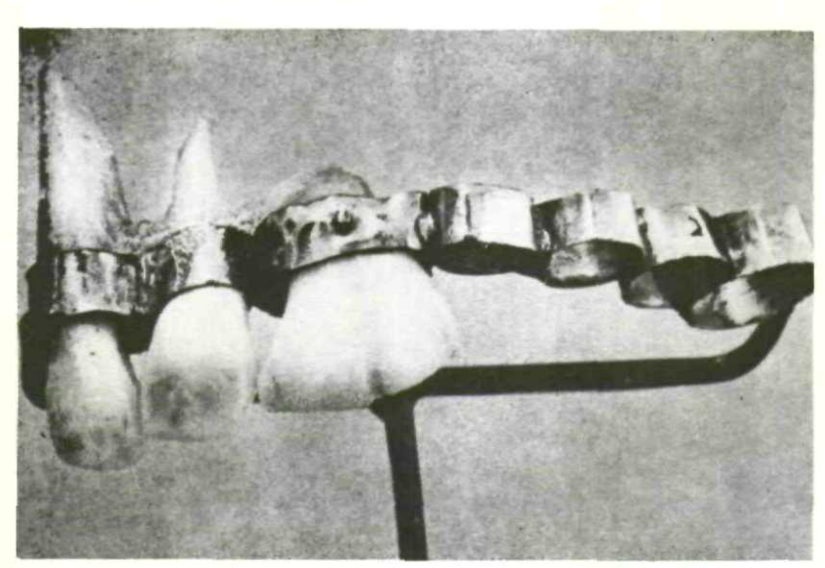
وعلى الرغم من تقدم طب الأسنان في الوقت الحاضر نظريا وتكنولوجيا ، فان هذا التقدم ليس سوى مجرد امتداد لما اكتشفه الانسان من أساليب ووسائل بدائية ، أو تطور لطرق المعالجة التي مارسها عبر السنين والأجيال .

ففي الحقبة الممتدة من عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ٤٠٠ بعد الميلاد ، ونعني بذلك عصر الحضارات الكبرى الثلاث : الشرقية واليونانية والرومانية ، لم يترك الانسان آثارا مادية أو كتابية تذكر عن طب الأسنان . وفي الفترة الواقعة بين عام ٤٠٠ بعد الميلاد وأواخر القرن السابع عشر ، وهي ما تسمى بالعصور الوسطى ، لم يقدم لنا الانسان جديدا في طب الأسنان .

بيد أن هذا الفرع من الطب أحرز في الفترة الواقعة بين القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر تقدما ملحوظا واكتشافات عديدة ، ما زال معظمها يعتبر أساسا لكثير من الأساليب التي يجري تطبيقها حاليا في جراحة



مراحل خلع الضرس بواسطة اداة خلع قديمة .



جسر ذهبي يضم سن عجل ، ويعود تاريخه الى العهد الاتروسكاني في ايطاليا .

الأسنان وطبها ، « كالبورسيلان » أي الخزف الصيني المعروف ، الذي يستخدم في أغراض التركيب . غير أن هذا التقدم سرعان ما امتدت جذوره وشسعت رقعته في الفترة المعاصرة ، التي تبدأ منذ منتصف القرن المنصرم حتى يومنا هذا ، فازدهر ابانها طب الأسنان كأي فرع من فروع الطب والجراحة وغيرها ، لا من حيث الأساليب فحسب ، بل من حيث الأبحاث الباثولوجية والبيولوجية والدراسات العلمية بشأن تقنية صناعة المعادن التي لها علاقة بطب الأسنان .

ويمكننا القول أن طب الأسنان أصبح فرعا فنيا قائما بذاته . ففي فرنسا مثلا ، كانت هناك معاهد لطب الأسنان وجراحتها عرفت منذ زمن طويل . فكان على الطالب الذي يرغب في دراسة طب الأسنان أن يكون قد درس الطب العام قبل ذلك . وكان يطلق على من أكمل التخصص في أحد فروع طب الأسنان لقب « جرّاح » في ذلك الفرع . أما مدة الدراسة في تلك المعاهد فكانت نحو خمس سنوات .

ان أقدم مرجع في طب الأسنان ، في عرفنا ، هو مخطوطة « ايبرس Ebers » التي تثبت أن المصريين كانوا يعنون بالذهب ، ويحفرونه كما يشاؤون . وتؤيد هذه الحقيقة آثار الفراعنة بنوع خاص . فقد اكتشفت مومياء يرجع عهدها الى ٢٠٠٠ سنة ق.م. تحمل أسنان فكّيها مجموعة من الخيطان الذهبية وبها أضراس محشوة بالذهب . كما اكتشفت أيضا آذان اصطناعية من القطن والمواد الصمغية ، وغير ذلك .

وتشير المصادر التاريخية الى أن المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودوتس » قد ألمع في مؤلفاته الى مزاولة المصريين لمهنة طب الأسنان في القرن الخامس قبل الميلاد . كما تؤكد المصادر أن « ابقراط » اليوناني ، الملقب « بأبي الطب » ، طور فن تثبيت الأسنان المتقلقلة بخيوط ذهبية تشدها الى الأسنان الصحيحة بشكل فني مقبول . وقد أثبتت بعض الحفريات التي اكتشفت في

مدينة « تاناكرا Tanagra » اليونانية طريقة تثبيت أسنان اصطناعية مكان الأسنان المفقودة ، وذلك بربطها بالأسنان الصحيحة بواسطة خيوط ذهبية . وهذه الطريقة مماثلة تقريبا لما نسميه الآن بالكدن ، أو الكادن (Attele) .

ولقد ذكر المؤرخ والفيلسوف الفرنسي ، « رينان » في أعقاب الجولة الاستكشافية التي قام بها الى لبـــنان عام ١٨٦٤م لدراسة بعض الحفريات ، أن أحد مرافقيه اكتشف في صيدا فكا لامرأة يحتوي على ست أسنان مثبتة بخيط ذهبي ، من بينها سنّان كانتا قد أخذتا من فك انسان آخر .

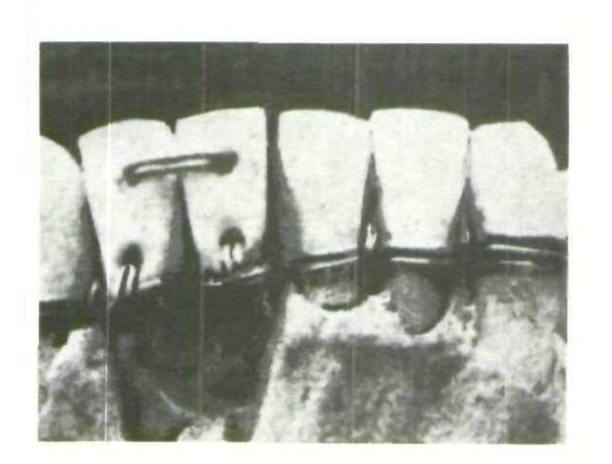
وقد ترك « الاتروسكانيون Etruscans » ، وهم ذوو حضارة ازدهرت ابان عهد قياصرة روما ، آثارا جليلة عن طب الأسنان . وعثر في أحد القبور الواقعة في مدينة « تاركويتي » الايطالية على قطعة ذهبية تحمل سنين مثبتتين في الفك الأعلى ، كانت شرحة الذهب فيها ملتحمة بالأسنان بشكل خفي لا يبدو للناظر . كما عثر أيضا على جسر من الذهب في شكل تاج لضرس مفقود ، مع وصلة تربطه بالأضراس الصحيحة . فكل هذا الى جانب الاكتشافات الأخرى الآنفة الذكر ، يدل على أن طب الأسنان كان فنا متطورا ، على مر العصور . وتذكر بعض المصادر أن بعض أطباء الأسنان في ذلك العهد استخدموا الذهب في تلبيس الأسنان وحشوها ، كما لجأوا الى تركيب أسنان اصطناعية مـكان الأسنان المفقودة . وكان مـن أشهر مركبي الأسنان الاصطناعية حينذاك « كاسيليوس Cascellius » . بيد أن معظم ذلك كان لأغراض تجميلية للجزء الظاهر من الفم أكثر من غيره .

وتذكر المصادر أن السيدات الأنيقات كن في ذلك العصر يولين أسنانهن عناية فائقة ، بدليل أنهن كن يستعملن لتنظيف أسنانهن مسحوقا من خليط من قرن الغزال المحروق ومسك « الشيو » وملح الأمونياك . كما كان بعضهن يستعملن مسحوقا مستخلصا مـن ورق الورد المجفف تحت أشعة الشمس ، والفحم المطحون ، وجوز الطيب الهندي المعطر .

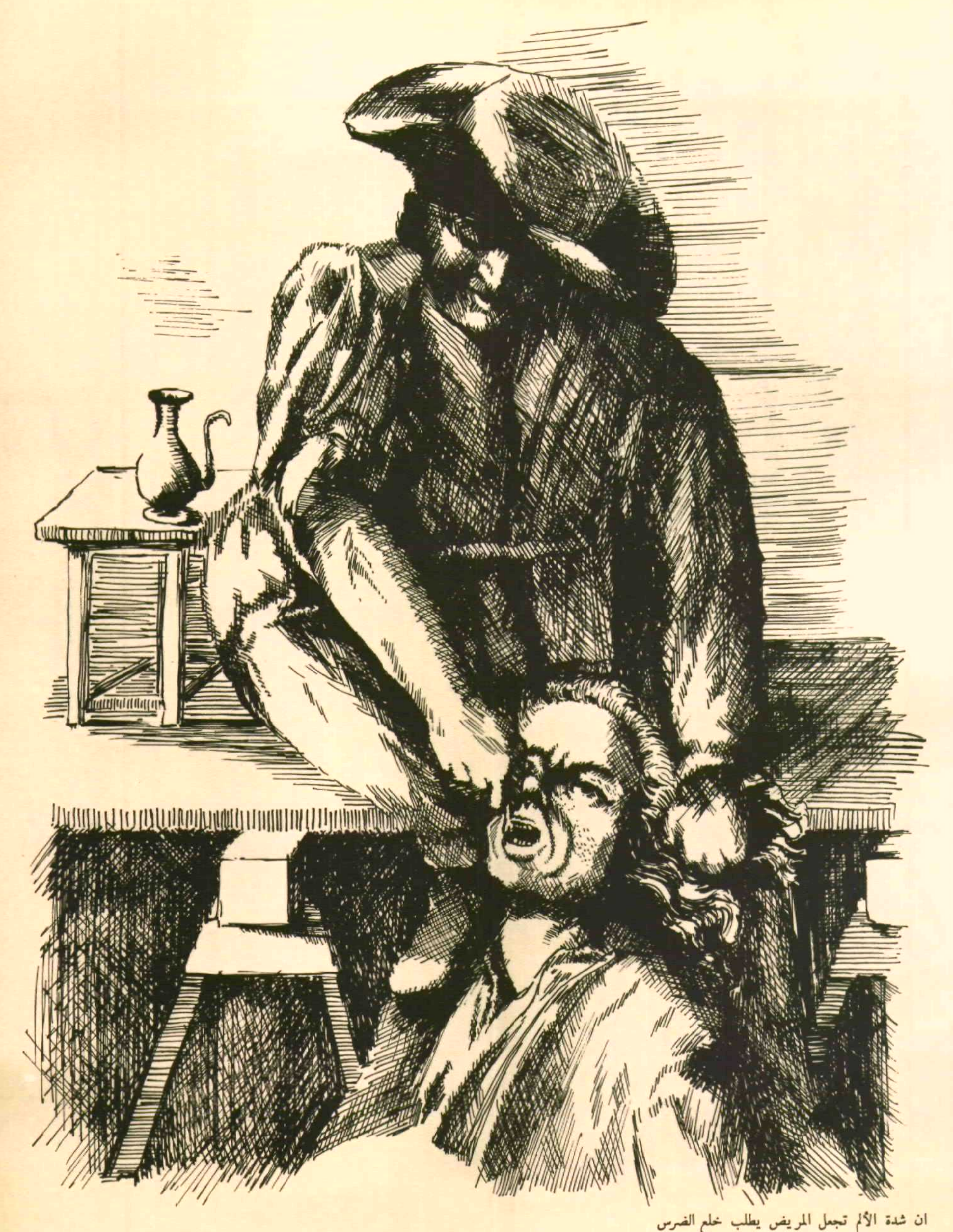
وباختصار ، فان الحضارات القديمة تركت لنا آثارا عديدة عن طب الأسنان وفروعه . ولقد رأينا أن الانسان في تلك الأزمان كان يولي الأضراس والأسنان اهتماما كبيرا من حيث العناية بها واصلاحها ومعالجتها . أما العصور الوسطى فكانت على العكس من ذلك اذ انها لم تترك



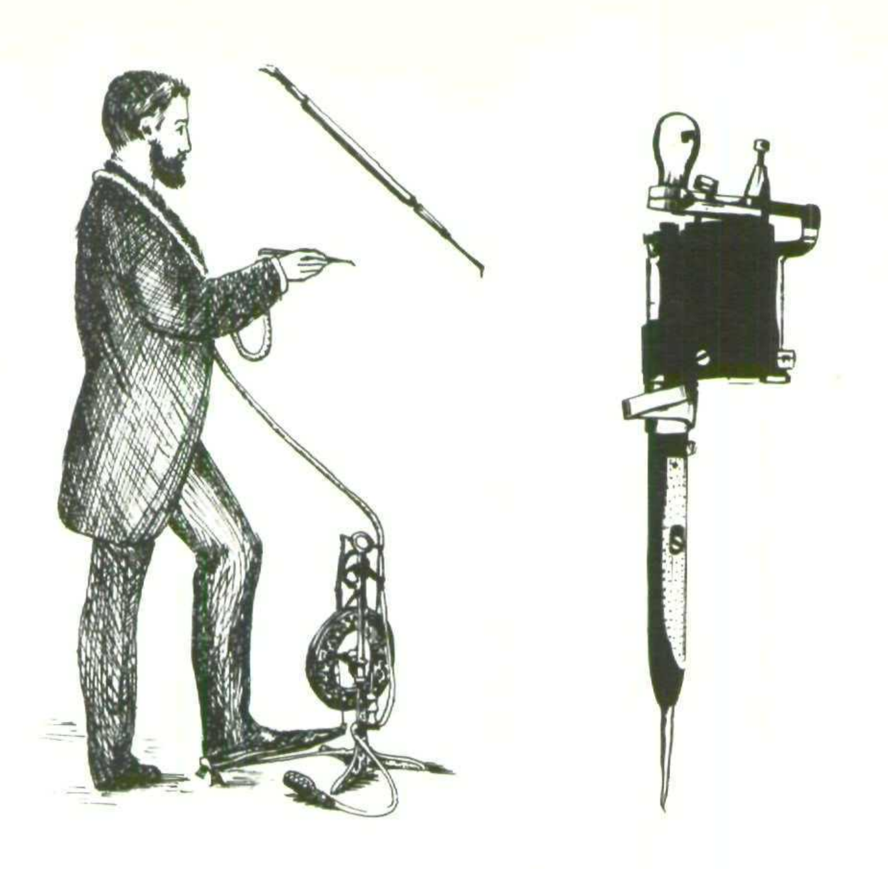
لوحة يعود تاريخها الى القرن السادس عشر وتمثل أحد أطباء الاسنان أثناء فحص أحد المرضى .



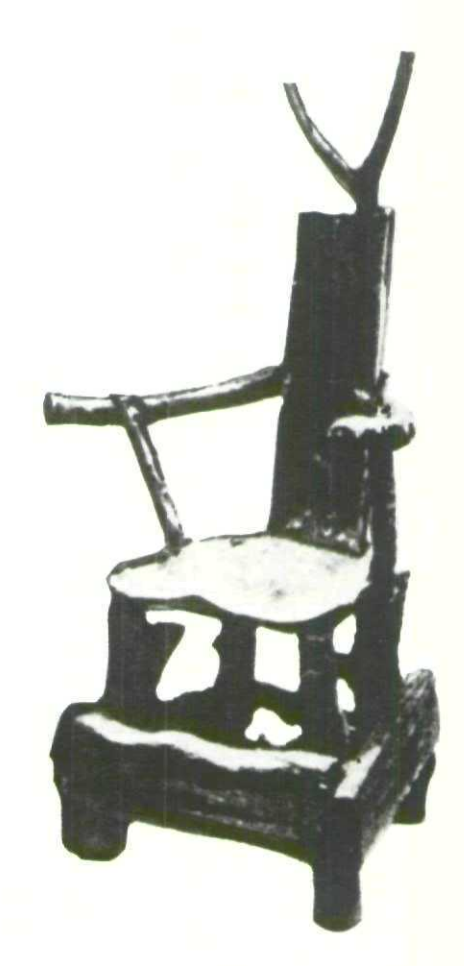
جسر ذهبي يشد هذه الاسنان الى بعضها ، وهو يمثل العينة الوحيدة المعروفة مما انجزه أطباء الاسنان الفينيقيون .



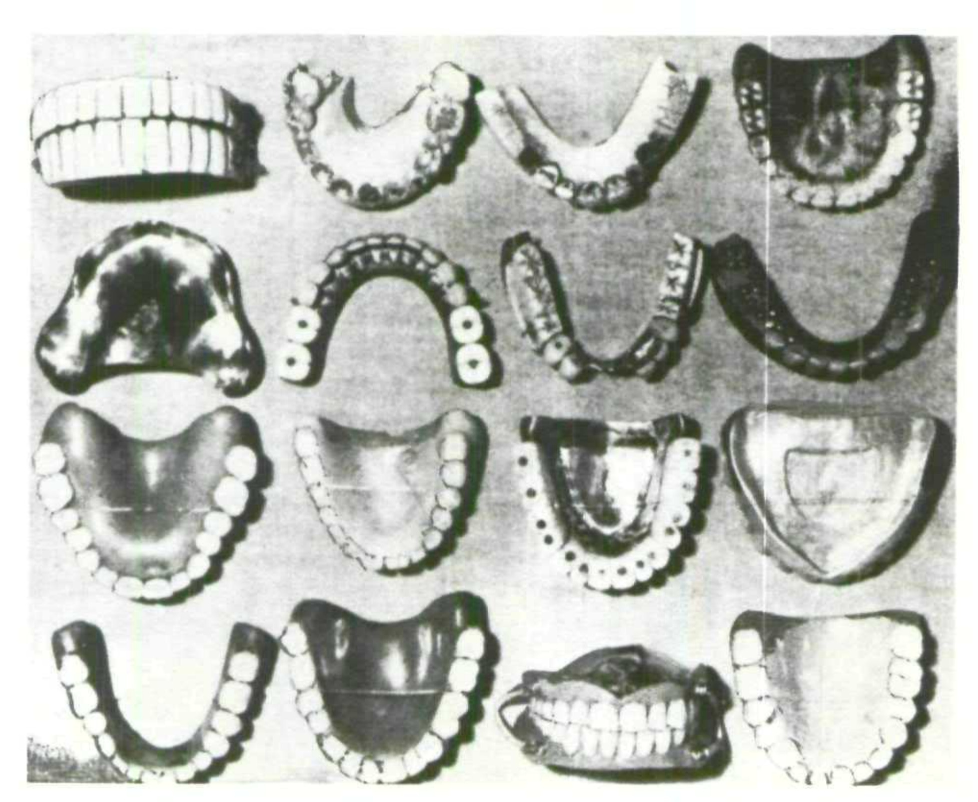
ان شدة الألم تجعل المريض يطلب خلع الضرس
باية طريقة كانت .. حتى ولو بهذه !



آلة حفر الاضراس وتعبئتها كما كانت عليه قبل نحو نصف قرن .



كرسي عيادة طب الأسنان في العصور القديمة .



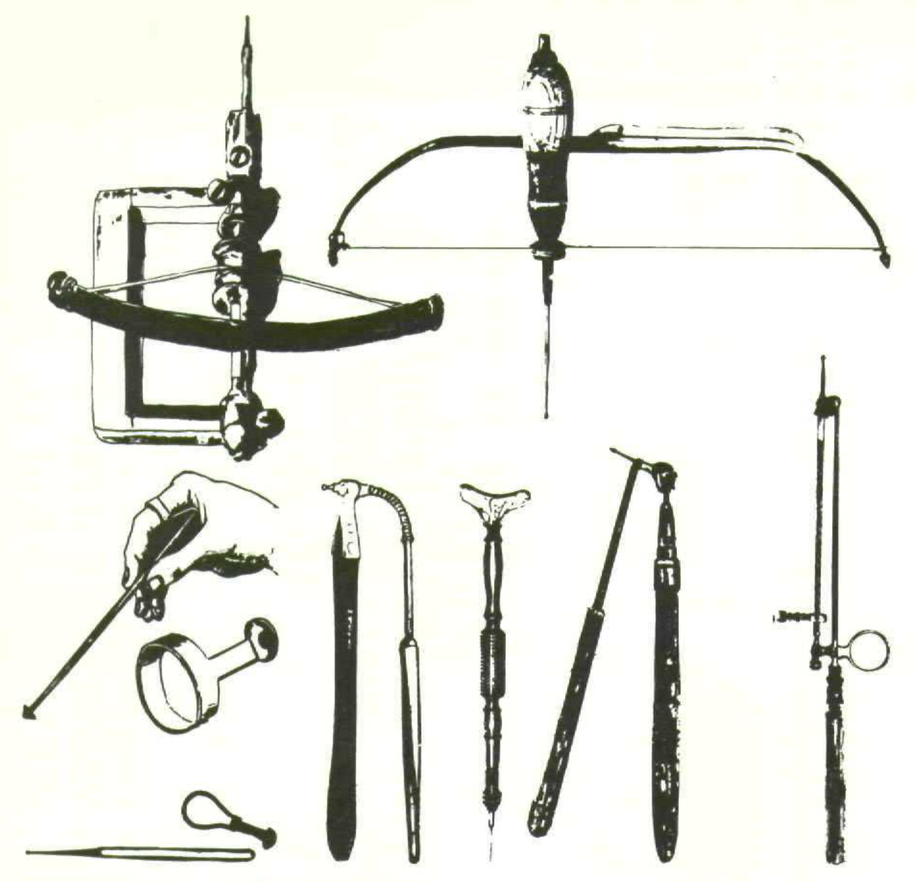
نماذج مختلفة للأسنان الاصطناعية ، منها مادخل في صنعه العاج أو الفضة أو الذهب أو العظم .

لنا آثارا جديدة بالنسبة لما عرفه الأقدمون عن هذا الطب .

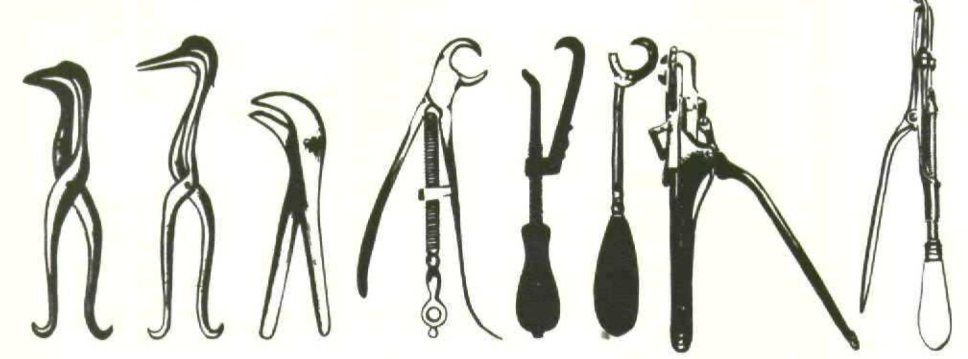
هنالك نفر من أطباء الأسنان تركوا لنا أحاديث عن هذا الطب تشبه الى حد ما، ما قاله « ابقراط » و « جالينوس » . ثم تحول هذا العلم الدقيق الى الرهبان ، بيد أنهم لم يطوروا فيه شيئا يذكر . أما بالنسبة للأطباء العرب ، فأخبارهم ما زالت حية ، يتناقلها الأوربيون والمؤرخون في معظم أنحاء العالم ، مشيدين بفضلهم في ما تركوه من آثار واكتشافات وأبحاث جليلة قيمة في مختلف الميادين العلمية ، ولا سيما طب الأسنان .

وأشهر من عرف من أسلافنا في طب جراحة الأسنان هو « أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي» المكنّى بـ « أبي الجراحة » ، والذي لم تبلغ الجراحة في الطب العربي درجة مرموقة الا بعد ظهوره . وقد ذاعت شهرته في الشرق والغرب حتى أن بعض الكاتدرائيات زينت بصوره تقديرا لمكانته العلمية . وكان بعض أساتذة جامعة « مونبيليه Montpellier » الفرنسية والمدارس الأقليمية يذهبون الى قرطبة للتعرف اليه والافادة من علمه . وقد وصف الجراحة وصفا دقيقا شاملا ، وألف كتابا اسمه « التصريف لمن عجز عن التأليف » ، تناول فيه بحثا وافيا عن الأسنان والعيون والكسور وطرق معالجتها . وهو أول من استعمل محلول الملح في غسل الجروح . وقد مارس مهنة طب جراحة الأسنان في قرطبة ، وكان بيته بمثابة مدرسة لطب جراحة الأسنان يتردد عليها الطلاب من كل صوب وحدب .

لقد كان أبو القاسم الزهراوي أول من وصف الآلات والأدوات التي كانت تستخدم في طب جراحة الأسنان ، وقام برسمها . كما كان أول من لجأ الى استخدام روح القرنفل وغيره من الأدوية الخاصة بعلاج أمراض الأسنان والتخفيف من حدة أوجاعها وآلامها . كذلك كان أول من رسم الطرق المتعددة لتثبيت الأسنان بخيوط ذهبية أو فضية ، ووضع الأسس لكيفية تركيب أضراس اصطناعية مكان الأضراس المفقودة . ويقول في هـذا الصدد : « انـا نتمكن من وضع سن مكان السن المفقودة بتثبيتها في مكانها اعتمادا على السنين السليمتين المجاورتين للسن المفقودة . لذلك فانه يتحتم ، لبقائها في الفم مع رفيقتيها ، توفر يد ماهرة رشيقة . وفي استطاعتنا أن نضع مكان السن المفقودة قطعة من عظم العجل ننحتها على شكل السن ، ونثبتها كما أسلفنا . »



مجموعة ادوات لحفر الأسنان في العصور القديمة .



أشكال مختلفة من أدوات خلع الأسنان .

وجاء من بعده الطبيب الفرنسي « في. ديه. شولياك » الذي ألف كتابا تناول فيه جوانب كثيرة من طب الأسنان ، كما نوّه فيه بأفضال الأطباء العرب ومؤلفاتهم في هذا المضمار ، حتى انه اعترف بأخذه عنهم الكثير من المعلومات القيمة . وقد جرى تدريس كتاب « شولياك » نحو أربعة قرون ، ثم أعيد طبعه في عام ١٧٥٠م . واشتهر من الأطباء الاسبانيين في القرن السادس عشر « فرانسيسكو مارتينز Martens » . أما أشهر من عرفنا من أطباء جراحة الأسنان في الفترة الواقعة بين السبعينات من القرن السابع عشر ، والستينات من القرن الثامن عشر فهو « فوشار Fauchard » الفرنسي ، الذي ألف كتابه المشهور « الجراح في طب الأسنان » والذي أصبح مرجعا أساسيا في دراسة طب الأسنان لدى الجامعات الأوربية . ومن بين أطباء الأسنان الذين برزوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأسهموا في تطوير هذه المهنة « ريشموند Richmond »، و«لاند Land »، و«موريسون Morrison » ، و « سبونر Spooner » و « تاقرت Taggart » و « تايلمان Tylman » و « بلاك Black » وغيرهم كثيرون .

ولعل لنا نحن أطباء الأسنان العرب عبرة من تاريخ هذا الطب ، اذ ينتظر منا أن نترك له أكثر مما تركه أسلافنا والا حكم علينا بالتخلف في هذا العصر ، عصر الذرة والفضاء ■

لقاء مع لفيف من رجال الفكر والأدب حول

النهوض باللغة العربية

لتصبح لغة عالمية

اللغة العربية لغة مرنة سلسة ، غنية مطواعة . سهلة التصريف والاشتقاق تمكن من يتقنها من الاجادة وحسن التعبير . وسعت كتاب الله الكريم ، ولم تقصر عن تأدية معنى من معانيه السامية ، وحملت حضارات الأمم الغابرة ، ونقلت الآداب اليونانية والفارسية والهندية بأمانة ودقة ، وغاصت في بحور الطب والفلك والحكمة — في العصور الذهبية في عهد الخلافة العبّاسية — فجمعت الكثير من كنوزها وذخائرها العلمية ، ولم يقل أحد آنذاك انها لم تبرز في ميدان من هذه الميادين . ولكن اليوم ، لعجز أبناء العربية عن جعلها تواكب التقدم العلمي ، برز هنالك بعض من يتهمها بالعجز والقصور ، ويدعو الى النزوع عنها الى اللهجات العامية بدعوى أنها « أسهل للفهم ، وأطوع للاستخدام ، وأقدر على مواكبة التقدم العلمي ». غير أن أصحاب هذه الدعوة قد أغفلوا حقيقة ناصعة لا يرقى اليها الشك . وهي أن اللغة العربية الفصحى لغة زهاء مائة مليون عربي . بينما اللهجات العامية ما هي الا لهجات محلية بين بلد وآخر . بل قل بين مدينة وأخرى في البلد الواحد . ويغالي البعض في تماديه فيدعو الى استخدام الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية معللا ذلك بأن الحروف اللاتينية ، في رأيه ، أكثر مرونة من الحروف العربية وأقل تعقيدا منها . وكأنني الآن لدى سماع مثل هذه الدعوات أسمع صدى لسان حال اللغة العربية يردد مع حافظ ابراهيم قوله :

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواة
جرت لوثة الأعجام فيها كما جرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم عشرين رقعة
مشتتة الألوان مختلفات

ولأن اللغة العربية موضوع بحث في هذه الآونة بين رجال الفكر والأدب ، فقد أقامت **« قافلة الزيت »** في مدينة جدة ندوتها الأدبية الرابعة ، التي انحصر النقاش فيها على كيفية النهوض باللغة العربية لتصبح لغة عالمية ، والتي تفضل بالاسهام فيها كل من الأدباء الأساتذة **عبد القدوس الانصاري ، وعبد الله الملحوق ، ومحسن باروم ، وعزيز ضياء ، وعباس فائق الغزاوي** . وقد استهلت الندوة السوءال التالي :

○ هل اللغة العربية حقا — كما يتهمها البعض — لغة قاصرة عن مواكبة التطور العلمي وعاجزة عن ايجاد المسميات الفنية للاختراعات الحديثة ؟



الادباء الكرام اثناء انعقاد الندوة ، ويبدو الى اقصى اليمين السيد عبد القادر طاهر ممثل العلاقات بالحكومة المحلية في مكتب ارامكو بجدة .

عبد القدوس الانصاري : أعتقد أن اللغة العربية، التي حملت مدنية العرب ومدنية الاسلام، وأضافت اليها مدنية اليونان ومدنية الفرس في زمن كانت فيه أوروبا غائصة في بحار من الجهل ، هذه اللغة العظيمة قادرة على أن تستوعب جميع آثار الحضارة الغربية المعاصرة . وليس النقص في اللغة العربية نفسها ، وليس القصور آتيا منها ، وانما النقص والقصور آتيان من أبنائها . واللغة العربية في الوقت الحاضر تقدمت وازدهرت أكثر مما كانت عليه قبل خمسين عاما ، وصارت لغة شائعة ذائعة في مختلف أنحاء العالم ، يعرفها الغربيون ، ويعترفون بها . وهي أغنى ما تكون غنى وغناء ، وأكثر ما تكون اتساعا وسعة . وبالرجوع الى أصل هذه اللغة الكريمة نجد موسوعات علمية في علوم النبات ، والحيوان ، والطبيعة ، والكيمياء ، ونجد أيضا كتبا مؤلفة في أحدث العلوم التقنية . وأعتقد أنه كلما اتسع نطاق العلم في مدارسنا وفي جامعاتنا ، وكلما اتسعت دولنا العربية والاسلامية في معرفتها لما يحوم حولها من المشكلات والمسائل، اتسعت هذه اللغة العربية لكل ما تريد أمتها أن تتسع له من الآراء والأفكار والعلوم .

عبد الله الملحوق : ان اللغة العربية – كأي كائن حي – تقوى وتضعف ، وهي قالب وليست محتوى .. انها حرف وكلمة وفكر . ولقد مرت بعصور وأطوار ، كما لقيت من العوائق والمثبطات والتشهير الشيء الكثير ، ومع ذلك بقيت قوية حية متجددة . ويكفيها فخرا أنها استطاعت أن تستوعب كتاب الله الكريم ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد سبق للغة العربية ان درست على مستويات مختلفة ، وفي عصور مختلفة . وآخر ندوة طرحت فيها قضايا اللغة العربية ونوقشت مشكلاتها، هي الاستفتاء الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، التابع لجامعة الدول العربية ، في المغرب خلال الموسم الماضي . والواقع انه يجب أن يكون هناك استفتاء آخر من باب المزيد في البحث ، يتناول الموضوع التالي : هل هناك ترابط أو تلاؤم بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟

والحقيقة أن التلاؤم والتلازم بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ، واقعي وحاصل . ولندرك مدى قدرة اللغة العربية على استيعاب المفاهيم الجديدة في النطاق العلمي والتقني علينا أن نحدد مكان اللغة العربية بين اللغات . اننا نجد أن في العالم ما بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ لغة ، وأن من بين هذه اللغات ما يشكل عشرين مجموعة . ثم نجد أن أساس اتساع كل لغة في هذا العالم يعتمد على عدد الناطقين بها . فنجد أن اللغة الصينية يتكلم بها حوالي ٧٠٠ مليون نسمة ، واللغة الانكليزية يتكلم بها حوالي ٣٠٥ ملايين نسمة ، واللغة الروسية يتكلم بها حوالي ١٧٩ مليون نسمة ، واللغة الهندية يتكلم بها حوالي ١٧٤ مليون نسمة ، واللغة الأسبانية يتكلم بها حوالي ١٧٠ مليون نسمة ، واللغة الألمانية يتكلم بها حوالي ١٢٠ مليون نسمة ، واللغة العربية يتكلم بها حوالي ١٢٠ مليون نسمة ، أيضا ، وهي تمثل المرتبة السابعة أو السادسة بين اللغات العالمية نظرا لعدد المتكلمين بها ، ثم تليها اللغة اليابانية ، ويتكلم بها حوالي ١٠١ مليون . وكذلك نجد أن اللغة العربية تأتي ضمن الطليعة بين اللغات الدولية القديمة .

فانطلاقا من هذا ، أعتقد أن اللغة العربية ، بما انطوت عليه من قوة وقدرة على استيعاب الآراء والأفكار منذ القدم ، وعلى رأسها كتاب الله الحكيم ، قادرة على أن تستوعب ما يمكن أن يستجد من علم ، سواء في الطب ، أو الاقتصاد ، أو الهندسة ، أو التقنية ، أو أي فن آخر . وليس العيب في اللغة العربية ، وانما هو فيمن


الاستاذ عبد القدوس الانصاري : مؤرخ مدقق ، واديب بليغ . أسس مجلة المنهل الغراء ، وعمل على رآسة تحريرها منذ عام ١٣٥٥هـ . له عدة مؤلفات تاريخية وادبية منها « تاريخ مدينة جدة » و « آثار المدينة المنورة » .


الاستاذ عبد الله الملحوق : اديب كبير يشغل منصب سفير للمملكة العربية السعودية في السودان .

يتكلمونها لأنهم يعرفون القليل ويجهلون الكثير عن هذه اللغة . فعلينا اذن أن نركز على خلق الفكر العربي المجتهد لكي ينصقل مع هذه اللغة ويجعلها لغة عالمية هي أهل لها وجديرة بها .

عزيز ضياء : اللغة العربية فيما أعتقد وفيما هو مقرر أيضا ، ليست عاجزة بطبيعتها عن مواكبة التطور العلمي ، ولهذا أدلة كثيرة جدا نجدها في تاريخ اللغة العربية وفي تاريخ تطورها . فقد استطاعت أن تنقل من الأدب اليوناني ومن الفلسفة اليونانية ، وأن تقدم لنا محصولا اعتمدت عليه أوروبا فيما بعد . وفي القرن العشرين استطاعت اللغة العربية أن تنقل الكثير من العلوم الحديثة حتى آخر ما وصل اليه علم الذرة .

ومعنى هذا أن اللغة العربية قادرة على التطور ، والاستيعاب والشمول والتعبير العلمي المطلوب . لكن هناك عقبة يمكن أن تصادف المعنيين باللغة ، وهي كيف يستطاع أن تترجم كلمة من كلمات العلم الحديث الى اللغة العربية ؟ وفي نظري ان استطاعت اللغة العربية أن تعطيني ترجمة لهذه الكلمة ، فبها ، والا فلا مانع عندي من أن آخذ الكلمة الأجنبية كما هي ، وأعربها . ثم أحاول اخضاعها للقواعد التي تنطبق على الكلمات العربية الأصيلة من حيث النحو والتصريف . لنأخذ مثلا كلمة تليفون ، لقد أصبح من المألوف جدا أن نقول : تلفن لي ، وتلفنت ، وسأتلفن لك . أي اننا اشتققنا من كلمة « تلفون » الفعل ، ثم حرفناه الى ماض ومضارع .. الخ . ومن المؤسف جدا أن نلاحظ في العالم العربي اليوم ، وعلى الأخص في العشرين سنة الماضية ، أن هناك من يعتقدون أن اللغة العربية لا تستطيع أن تواكب التقدم العلمي أو لا تستطيع أن تعبر عما يختلج في نفس الفنان أو الكاتب أو الأديب . فهذا خطأ أبناء اللغة في الواقع ، وقصورهم وضعفهم . وليس ضعف اللغة العربية على الاطلاق .

عباس فائق الغزاوي: يبدو أن هناك اتفاقا . ليس بيننا في هذه الندوة فحسب . وانما بين أغلبية كبرى في العالم العربي . على أن اللغة العربية لغة قادرة على أن تكون لغة العصر والعلوم الحديثة للعرب الناطقين بها . ان مشكلة العرب مع اللغة العربية . ومشكلة اللغة العربية مع العرب هي أنهم يعترفون بأنهم قادرون عليها ، ولكنهم لا يتخذون الوسائل المناسبة للوصول بهذه القدرة الى مرحلة التنفيذ. فهناك اتفاق شبه كامل على أن اللغة العربية كائن حي ، استطاع أن يتطور تطورا لم يبعده عن أصله الأساسي ، ولم يبعده عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، ومع ذلك فان هذا التطور يحتاج الى أن يدخل في ميدان الحياة الحديثة وفي ميدان التطور العلمي . ويحتاج الناطقون بهذه اللغة أو المختصون في حقولها الى أن يقوموا بهذه المهمة . وأنا أتفق مع الأستاذ عزيز ضياء بأنه لا مانع اذا لم تترجم الكلمة الأجنبية بكلمة عربية ترجمة دقيقة من أن تستعمل الكلمة الأجنبية كما هي ، وأن تشيع وتتبع .

ويبدو أن المشكلة ليست على بساط المهتمين باللغة بقدر ما هي على بساط العلماء ، والأطباء ، وأساتذة التدريس الذين يجدون أنفسهم ، أثناء درس العلوم والطب وما شابه ذلك أو تدريسها ، يميلون الى تلقي هذه الدراسات وإلقائها باللغات الأصلية التي صدرت فيها ، في حين أن بالامكان عن طريق المجهود الجماعي وخاصة الجامعات والمعاهد ، تبني سياسة تعريب التعليم ، لا على حساب العلم أو التعليم ذاتهما .

محسن باروم : لم تكن اللغة العربية في يوم من الأيام لغة متخلفة ، وانما كانت لغة نامية متطورة مع تطور العلوم والفنون والآداب . فقد أثبتت أصالة ما بعدها أصالة ، وغنى ما بعده غنى في المفردات والمترادفات ، كما كانت في القرنين الثالث والرابع الهجريين لغة العلم والحضارة والمدنية . واستطاع العلماء والمفكرون العرب أن يدونوا أفكارهم وآراءهم ونظرياتهم في مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفة في كتب ومدونات عظيمة ما زالت محفوظة حتى الآن ، تحتويها كثير من مكتبات العالم . ولعل ما كتبه ابن سينا في كتابه « القانون في علوم الطب » ، وما كتبه أبو بكر الرازي في كتابه « الحاوي » ، وما كتبه ابن رشد في كتابه « الكليات » ، وما كتبه الجراح العربي العالمي أبو القاسم الزهراوي في كتابه « التصريف » ، كل هذه الكتب والمراجع التي ظلت تدرس في الجامعات الأوربية لقرون مضت ، كانت مشعل الحضارة الذي أضاء للانسانية طريقها في القرون الوسطى . لقد أثبتت اللغة العربية انها لم تتخلف في يوم من الأيام عن مواكبة الركب العلمي والتطوري والحضاري ، وسبب ذلك يرجع الى غناها والى تطورها والى نمائها والى استعدادها لكي تستوعب مستحدثات الحضارة وكل ما يجد في مختلف المعاني والنظريات . فعلينا أن نكون في مستوى اللغة

العربية ، وان ندفع بها الى الأمام بأن نصطنع الوسائل والمناهج التي تمكن هذه اللغة من أن تستوعب كل جديد يطرأ في مختلف ميادين العلم الحديث .

• ليس هنالك من يشك في أن اللغة العربية لغة غنية وقادرة ، بل انها – في اعتراف المستشرقين – أقدر لغة على التوالد والاشتقاق وأغنى لغة بالمترادفات ، ومع ذلك فهي لا تحيط احاطة شاملة بالمفردات العلمية الحديثة . فكيف يمكن معالجة هذه الناحية ؟

عبد القدوس الانصاري : هذا السؤال في صميم الموضوع ويحتاج الى مجلد أو مجلدات لكي يجاب عنه . ولكن كما يقولون « ما لا يدرك كله لا يترك كله » . ان عدم استيعاب اللغة العربية للكلمات والمفردات العلمية الحديثة جميعا لا يعيبها ، لأنني أعتقد أنه لا توجد لغة عالمية في عالم اليوم أو عالم الأمس تستطيع أن تستوعب بمفردها جميع المفردات العلمية الحاضرة أو القديمة . لا بد أن اللغات يستعين بعضها ببعض بصورة رسمية أو بصورة الاستقاء والالتقاء حتى تستوفي هذا المرام . واذا أحسسنا أن اللغة العربية قاصرة قصورا واضحا في العصر الحاضر ، عن زميلاتها من اللغات الحية ، كالانكليزية أو الفرنسية مثلا ، فهذا لا يعيبها وانما يعيبنا نحن ، كما قلنا سابقا . ولنرجع الى التاريخ لنستفهمه ونستلهمه حقيقة ما يجري الآن بالنسبة لما قد جرى ، فنجد أن العرب في حضارتهم في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، لم يكونوا مستوعبين في لغتهم جميع المفردات والكلمات العلمية القديمة في اليونانية والهندية والفارسية وغيرها من اللغات التي كانت لغات علم في ذلك الزمن العريق . ولكن طبيعة اللغة العربية المرنة جعلتها تستوعب هذه المفردات في مدى وجيز وتستعملها في حوادثها وأحايثها وعلومها . فنجد أن المترجمين العرب والمستعربين ، في الزمن الأخير من عهد بني أمية ، وفي الزمن الأول من عهد العباسيين ، كانوا يترجمون الى هذه اللغة جميع ما يقع تحت أيديهم من الكتب العلمية . ونجد تلك الترجمات مهلهلة هشة ضعيفة ركيكة كثيرة الخطأ والقصور في أول أمرها ، شأن أي أمر يبتدأ فيه ، ثم ما زالت تقوى وتقوى حتى استوعبت جميع العلوم ، وحتى رأينا أوربا تنهض ، ويأتي رجالها وطلاب علمها الى جامعات العرب في قرطبة وفي بغداد يتعلمون اللغة العربية ، ويأخذون منها مختلف العلوم المفيدة .

هذا الموقف الذي نقفه الآن هو أشبه بموقف الغرب في أوائل النهضة العربية وأواسطها من العلوم نفسها ، ومن الكلمات نفسها . فما كانت لغاتهم مطلقا لتستوعب هذا الحشد الهائل من المعلومات ، كما استوعبتها اللغة العربية في عهد نهضة العرب وعهد حضارتهم الزاهرة . ولكنهم لم يتوقفوا ولم يدّعوا أن لغاتهم لا يمكن أن تستوعب ، ولا يمكن أن تتجدد ، بل ساروا وعملوا وجدّوا واجتهدوا حتى توصلوا الى ما لم نتوصل اليه ، فكان تقدمهم جزاء عملهم ، وكان تأخرنا جزاء إهمالنا . فالمطلوب منا أن ننهض بأعباء لغتنا العربية وأن نكون على مستواها هي ، ولا تكون على مستوانا نحن .

بقيت كلمة أخرى في موضوع استعمال الكلمات الأجنبية ، انني لا يختلف رأيي كثيرا عن رأي الأستاذ عزيز ضياء في استعمال الكلمات الأجنبية اذا لم نجد ترجمة وافية لها في اللغة العربية . ولكنني أرى مع ذلك أن علينا أن نجتهد في أن نتوصل الى استخراج واستنباط كلمات عربية صميمة أو مشتقة من لغتنا نحن ، ونستعملها في تلك المعاني والأهداف ، كما استعمل الافرنج أنفسهم هذه الكلمات التي أوجدوها لمسمياتهم . اننا نجد هذه الكلمات الأدبية المستعملة لبعض العلوم وبعض المستحدثات ليست وافية للمعنى المقصود كله .. في بعضها قصور ، وفي بعضها تمدد ، وفي بعضها تقلص ، ولكنها بسبب الاستعمال الكثير ألفت واستعملت ورضي بها العالم واستعملها كل الناس . فلو شرحنا كلمة « تلفون » في لغتها الأصلية لرأيناها تعطينا معنى جهاز التلفون بلا زيادة ولا نقص ، ولو ترجمناها الى اللغة العربية لرأيناها لا تنطبق تمام الانطباق كما لا ينطبق « النعل على النعل » – كما يقول العرب بلا مؤاخذة – في كلمتي المسرة والهاتف . اذن فما المانع من أن نستعمل كلمة «الهاتف» ، وهي كلمة عربية صميمة تؤدي اداء ليس كاملا وليس منطبقا تماما على المعنى ، ولكنها تؤديه على كل حال . فما كل كلمة تستعمل في العلم الحديث ولا في العلم القديم تنطبق تمام الانطباق على الموضوع بذاته ، بل لا بد أن هناك تجوزا ، وتجاوزا ، ومجازا مرسلا حتى تقبل هذه الكلمة ، فاذا ما قبلت ووضعت في معرض الاستعمال وأدخلت في كتب العلم والأدب ، قيل ان هذه الكلمة تؤدي المعنى دائما .



الاستاذ محسن باروم : كاتب ومحاضر معروف ، شغل عدة وظائف في حقل التربية منها مدير عام التعليم العالي ، وامين عام جامعة الملك عبد العزيز . ويشغل حاليا منصب مستشار وزارة المعارف في المنطقة الغربية وقد اشترك مع لجنة من المربين في وضع حوالي عشرين كتابا مدرسيا .

عزيز ضياء : أفاض الأستاذ عبد القدوس في شرح وجهة نظره من حيث امكان استعمال المفردات غير العربية أو استعارتها في اللغة العربية ، فأوفى الموضوع حقه . وانما أريد أن أقول ان استشهادي بكلمة « التلفون » كان استشهادا فقط وليس حقيقة . فأنا شخصيا استحسن كلمة الهاتف وأفضلها على كلمة « التلفون » . والذي يلاحظ كذلك ان كلمة تلفون هي في الواقع مركبة من كلمتين . وربما نستطيع نحن أن نفعل مثل هذا في لغتنا نظرا لمرونتها التي أشار اليها الأستاذ الفاضل في سابق كلامه .

وهناك تعقيب آخر ، هو أن اللغة العربية لا يمكن أن تستغني – اذا أرادت أن تتطور – عن أخذ مفردات معينة كما هي ، على أن تعطيها الجرس العربي . وعندنا أمثلة كثيرة على ذلك ، فقد كنت أقرأ قبل أيام كتابا للجاحظ في الأطعمة والأشربة ، فوجدت أن الجاحظ قد أخذ الكثير من الكلمات الفارسية في المآكل والمشارب وأدوات

الطبخ ، وفي لوازم النوم ، أخذها كما هي ، ولكنه استطاع ببراعة كبيرة أن يغير جرسها من الجرس الفارسي الى الجرس العربي السليم ، وبهذا تقبلها العالم العربي . ثم لا ننسى أن اللغة العربية حتى قبل نزول القرآن الكريم قد أدخلت عليها كلمات كثيرة غير عربية ، وهي ما تسمى بالكلمات الدخيلة ، مثل « جهنم » و « الفردوس » وغيرهما ..

محسن باروم : لا شك أن اللغة العربية تمثلت كثيرا من الكلمات الدخيلة من لغات أجنبية أخرى كانت تعاصر اللغة العربية كالهندية والفارسية والحبشية . فمن جملة الكلمات الدخيلة التي دخلت على اللغة العربية ، كلمات في القرآن الكريم ذاته : كالقسطاس والاستبرق ، وغيرها . كما وردت كلمات دخيلة كثيرة في الحديث النبوي الشريف . وأعتقد أن اللغة العربية استطاعت أن تمتص وأن تتمثل حوالي ٥٠ ألف كلمة دخيلة من مختلف اللغات التي عاصرت اللغة العربية ، ولكنها عندما امتصت هذه الكلمات استطاعت أن تدمغها بالطابع العربي وان تسبغ عليها الصفة العربية الأصيلة . على أن بعض علماء اللغة العرب لا يرون أن القرآن الكريم قد حوى بعض الكلمات الدخيلة ، اعتقادا منهم بأن امتصاص اللغة العربية لبعض الكلمات الدخيلة يعطي دليلا على ضعفها . ولكن الواقع يثبت أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد حويا كثيرا من هذه الكلمات . وأرى أن امتصاص بعض الكلمات الدخيلة ليس دليل ضعف في اللغة العربية ، وانما دليل الحيوية والقوة في هذه اللغة ، التي استطاعت أن تتمثل هذه الكلمات الدخيلة المختلفة في مختلف العلوم والفنون ، وان تهضمها وتعطيها الطابع العربي الصحيح ، حتى أصبحت تعتبر في صلب المعجم العربي .

عبد القدوس الانصاري : لا يريد بعض علماء اللغة أن يقال أن في القرآن دخيلا ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول (بلسان عربي مبين) أي فصيح . وانا عندما أنظر الى هذا الموضوع ، وأظن الأخوان يشاركونني الرأي ، لا أرى أن دخول الكلمات الأعجمية في الأصل القديم الى اللغة العربية ، ومن اللغة العربية الى القرآن الكريم ، ينافي عروبة القرآن الحكيم . ذلك لأن هذه الكلمات التي في القرآن كالقسطاس ، والاستبرق ، وجهنم ، وغيرها ، هي كلمات تقبلها العرب وارتضوها وهضموها ولاكتها ألسنتهم ودخلت في صميم لغتهم ، كما يدخل في عدادهم الغريب القديم الذي استوطن بلادهم وتوالد معهم وتناسل . وكما يعتبر هذا الشخص أو أبناؤه عربا وغير غرباء ، فدخول هذه الكلمات الى القرآن الكريم لا يعتبر منافيا لعروبة القرآن ، وأنه (بلسان عربي مبين) .

وفيما يتصل بالتعريب لي كلمة موجزة أريد أن أقولها ، وهي أننا لو تعمقنا في اللغة العربية تعمقا صحيحا ، وتوصلنا الى معرفة دقائقها ، لوجدنا فيها الكثير من الكلمات التي ينبغي تعريبها . فمثلا كلمة « فولكلور » كلمة أجنبية أرى فيها ثقلا كثيرا ، وانها ليست مطابقة للمنهج العربي . واللغة العربية اذا هضمتها فانها تهضمها على عسر . وقد قامت تونس الشقيقة بتعريبها تعريبا لطيفا ، لا أقول انه كان كاملا من كل النواحي ، عربتها بكلمة واحدة لطيفة هي « المألوف » ولقد اعتمدت الصحف التونسية ، كالعمل ، هذه الكلمة واعتبرتها بدل كلمة « فولكلور » في كثير مما قرأته منها .

عصام العماد : ان تخليص اللغة من صفة التخلف – لا شك – يتم عن طريق تعريب الكلمات العلمية والفنية تعريبا متقنا ، أو نقلها كما هي عن اللغات الأخرى ، واخضاعها للاشتقاق والاعراب . ولكني لا أرى فيه جدوى ما لم يصدر عن جهد جماعي تشترك فيه المجامع العربية مع كبار الأدباء والعلماء والمترجمين والمربين . فيتفق على المفردات الموضوعة ، وتعمم في المعاجم والكتب المدرسية ، وبذلك يكثر استخدامها ، فتنتشر وتصبح جزءا لا يتجزأ من اللغة ، وبذلك تغنى اللغة وتحل المشكلة القائمة .

• ما رأي الأدباء الكرام بالدعوة التي تنادي بتبني العامية بدلا من الفصحى ، وذلك لجعل اللغة العربية أكثر قابلية للألفاظ العلمية المعربة ، وأكثر قدرة على التعبير . وهل يمكن أن تصبح اللهجة العامية لغة ؟

عزيز ضياء : في الواقع أن الدعوة الى جعل اللغة العامية المعتمدة لدى بعض الشعوب دعوة نابعة من سبب له وجاهته ، وهو : عدم قدرة أجهزة التعليم على تبسيط قواعد اللغة العربية بحيث يستطيع الطفل استيعابها ويستطيع أن يتكلمها ويكتبها صحيحة ، كما كان يكتبها ويتكلمها الطفل العربي الأصيل في العصور الأولى من ازدهار اللغة العربية . فسبب الدعوة ، كما يبدو لي ، هو عجز العربي الناشيء عن فهم قواعد اللغة العربية . ولو حلت هذه المشكلة ، وأعتقد أن الحل ممكن ، لأصبح بالامكان تخطي عقبة حاجتنا الى اللغة العامية . اما أن تصبح العامية لغة يعتمد عليها فأعتقد انه من المستبعد قطعيا ، لأنها كما تتقارب بين أفراد الشعب الواحد تتباعد بين أفراد الشعوب المتعددة . وفيما يبدو لي أن من الوسائل الفعالة التي يمكن أن تنهض باللغة العربية أن يبدأ بطبع المؤلفات المدرسية في السنوات الأولى والمتوسطة بالحرف المشكول الذي يعنى بأواخر الكلمات المعربة عناية خاصة . فاذا استمر هذا من السنة الدراسية الأولى أي سن السابعة ، الى سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، فمعنى هذا أن الطفل يبدأ في فهم اللغة العربية على حقيقتها دون الحاجة الى اعراب ، وعندئذ يتركز النطق الصحيح في ذهنه .

عباس فائق الغزاوي : هنالك تعقيب أريد أن آتي به على ما قاله الأستاذ عزيز ضياء . فأنا لا أظن أن هنالك لغة اسمها اللغة العامية ، وانما هنالك اللغة العربية فقط ، واللهجات العامية . والدعوة السائدة في كثير من البلدان العربية لاستعمال العامية ليست بارزة الى الحد الذي يلغي اللغة العربية ويعتمد احدى اللهجات العامية كلغة أساسية في التخاطب والتفاهم والتعليم . وانما نسمع في بعض أجهزة الإعلام ، كالإذاعة و « التلفزيون » ، الكثير من الدعوات الرامية الى تبني اللهجات العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى لتكون أقرب الى متناول الجمهور ، وكذلك تنشر بعض الصحف مواضيع أو قصصا أو شعرا أو مقالات أو مقطوعات فكاهية باللهجة العامية . والواقع أن السبب الذي ذكره الأستاذ عزيز ، أي عدم تبسيط قواعد اللغة العربية ، هو من الأسباب التي تدعو الى استعمال اللهجة العامية ، كما ان الأمية تعتبر من الأسباب الرئيسية التي دعت الى استعمال اللهجة العامية بدلا من اللغة العربية . ويلاحظ اننا اذا تتبعنا حوارا يدور بين مجموعة من المثقفين أو المتعلمين ، وجدنا أن هذا الحوار أو الحديث بطبيعته يتسم بكثير من سمات اللغة العربية الفصيحة . وهو ، اذا استثنينا بعض أدوات الربط للسهولة ، يكون بطبيعته أقرب الى العربية الفصحى منه الى العامية .

عبد القدوس الانصاري : هذا الثعبان الذي أطل برأسه في هذا العصر ، وهو اللهجة العامية ، قد أطل برأسه قبل ثلاثمائة وألف وما يقرب من خمسين عاما في العالم العربي . فما كان من العرب في ذلك الوقت الا أن قضوا عليه ، بأن أسسوا قواعد النحو وثبتوا كلماتهم العربية الفصيحة ، وألفوا مختلف التآليف ، فقضي عليه في ذلك الوقت . فاعادة بحثه وجعل اللهجة العامية

قرينة ومقارنة للغة العربية الفصحى هو من باب الرجعية الشائنة المستهدفة لفساد اللغة الفصحى ولا يمكن لنا أبدا أن نقارن اللغة العربية الفصحى. باللهجات العامية الوليدة التي تنشأ دائما في أحضان عصور ضعف الأمم ، في كل لغةوفي كل أمة . علينا إذن أن نقضي على اللهجات العامية عند ذكر العلم والأدب ، ونئدها وأدا تاما ، ونبقي على اللغة العربية الفصيحة التي نراها الآن تنمو نموا طَبَعياً، وتشمل البلاد العربية شمولا طَبَعياً بسبب اتساع التعليم ، وزيادة المتعلمين ، ووفرة أدواتها من الاذاعة والمرناء ، والصحافة ، وغير ذلك .

محسن باروم : أثار الأستاذ عزيز ضياء موضوع تبسيط قواعد النحو العربي ، فشكا من أن النحو العربي قد داخله الكثير من التعقيدات والكثير من الفلسفات التي أدخلها بعض العلماء الأعاجم الذين ألفوا في النحو العربي . وقد قامت دعوات في الأزمان الغابرة تطلب تشذيب قواعد النحو العربي والغاء كثير من النظريات فيه . ولعل من أشهر هذه الدعوات التي قامت في القرون الوسطى ، هي دعوة « ابن مضاء » في النحو ، الذي ألف كتابا في الرد على النحاة . وفي العصر الحديث أيضا قامت دعوة الى تبسيط قواعد النحو العربي في بعض البلدان العربية، وشكلت لجان كما شكلت لجنة على ما أظن في المجمع اللغوي العربي في القاهرة ، لدرس هذا الموضوع وتمحيصه والوصول الى نتائج ايجابية في هذا الصدد . وقد ألفت كتب حول هذا الموضوع ، ولكنها لسوء الحظ لم توفق التوفيق الكامل في الوصول الى نتائج ايجابية تستطيع أن تصفّي النحو العربي من بعض الزوائد، وتشذبه التشذيب الكامل.

ولعل المجامع اللغوية في البلاد العربية توفق الى وضع خطة لتصفية النحو العربي من بعض الزوائد والتعقيدات التي تصد الناشىء العربي عن هضم قواعد اللغة العربية هضما كاملا ، وتستطيع أن تسير به في النهج الصحيح الى تعلم اللغة العربية واتقانها الاتقان السليم .

ه ما هو موقف الأدباء الكرام من الرأي القائل بأن استخدام الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية يسهل هذه اللغة على دارسيها — ولا سيما الأجانب منهم — ويجعلها أكثر قابلية للانتشار والشيوع في العالم ؟

عزيز ضياء : في الواقع أن الدعوة الى استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية دعوة مرّ عليها أكثر من نصف قرن . ولكي نكون واقعيين أقول أن للدعوة سببا هو أن الحرف العربي يختلف كثيرا عن حروف كثير من اللغات الأخرى . ومعلوم أن اللغة الصينية ، واللغة اليابانية واللغة العربية واللغة الروسية واللغة اليونانية كل منها لهـا حروف خاصة . وما عدا ذلك فكثير جدا من اللغات يأخذ بالحرف اللاتيني المعروف . ومن بعض الحجج التي يعتمد عليها أنصار هذه الدعوة أن الحرف اللاتيني أكثر شيوعا وأسهل قراءة . ولكن المشكلة تأتي في أنه اذا أخذنا الحرف اللاتيني وكتبنا به اللغة العربية ، فمعنى هذا اننا قضينا على تراثنا الضخم خلال أكثر من ١٣٨٠ سنة ، ومن الصعب على الأمة العربية أن تضيع هذا التراث في سبيل تسهيل قراءة حرفها العربي على من يريد قراءته من الافرنج أو من الذين لا يعرفون العربية . ثم أضف الى هذا ، اننا لم نسمع عن أمة تركت حرفها الأصيل في سبيل تسهيل قراءة لغتها . ولهذا فان الدعوة الى اتخاذ حرف آخر غير الحرف العربي دعوة ينقصها القدرة على أن تواجه المطلب العربي الأصيل من حيث التزامه بالمحافظة على لغته ، وعلى تراثه الضخم وعلى رأسه كتاب الله الحكيم.

عبد القدوس الانصاري : أعتقد أن الدعوة الى استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، أساسها أن القوي دائما يتبعه الضعيف ، أو ان القوي دائما يريد أن يفرض رأيه على الضعيف ، وهذه سنة الكون . فاذا رجعنا الى التأريخ نجد أن كثيرا من الدول غير العربية في زمن ازدهار حضارة العرب وقوتهم ، استعملت لغاتها الحروف العربية حتى انه لا تزال بقايا من هذا في بعض الأمم التي تدين بالاسلام .

والدعوة الى ابدال الحروف العربية بحروف لاتينية مردودة ومرفوضة ، لأن الأمة التي تريد أن تحتفظ بكيانها ومقوماتها ومجدها لا تعـدل عن تقاليدها وتراثها الذي بنت عليه كرامتها وعزتها الى غيرها . ولدى الأمة العربية أعظم تراث يتمثل في كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين ، وحديث رسوله الأمين ، وأشعار شعرائها في جاهلية واسلام وكل هذا استوعبته الحروف العربية أجيالا وأجيالا .

عباس فائق الغزاوي : أعتقد أن هذه الدعـوة دعوة مرفوضة من الأغلبية في العالم العربي ، والسبب في ذلك هو انها لا تقوم على أساس من المصلحة العربية أو على أساس النظر والاعتبار الى التراث العربي الاسلامي الذي يمتد عبر قرون طويلة والذي يمثل حضارة المسلمين العرب . ان مثل هذه الدعوة بطبيعة الحال تعتبر دعوة هدامة للتراث الذي بناه العرب والمسلمون خلال



الاستاذ عبد العزيز ضياء : اديب لطيف العبارة، وصحفي صريح القلم رأس تحرير جريدة عكاظ الاسبوعية لفترة من الزمن ، ورأس تحرير جريدة المدينة المنورة لفترة اخرى .



عباس فائق غزاوي : مـدير ادارة الصحـافة والنشر في وزارة الخارجية برتبة مستشار وكـان يشغل منصب مدير عام وزارة الاعلام سابقاً .

أربعة عشر قرنا . والواقع أن المبررات التي تعطى لاستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية مبررات أعتقد أنها غير وجيهة ، لأن الأجنبي الذي يريد أن يتعلم لغة ما ، عليه أن يتحمل مشاقها ومصاعبها ، وأن يغوص فيها وأن يعطيها حقها من العناية لكي يتعلمها .

• ان المستشرق الألماني « فان أس » أستاذ تاريخ الفكر العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت ، يفضل التعبير بالفصحى على العامية ، ولكنه يترقب أن تنشأ مع الأيام لغة عربية جديدة ليست بالقديمة المقعرة ، ولا العامية المبتذلة ، كما جرى في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، فهل أنتم معه في هذا الرأي .؟

عزيز ضياء : ربما أن الأستاذ « فان أس » يرغب في ما هو موجود حاليا وقائم فعلا . فاللغة العربية في الوقت الحاضر ، استطاعت في خلال الخمس والسبعين سنة الأخيرة أن تنتقل من مرحلة كانت تعيشها قديما الى مرحلة جديدة . واللغة العربية المتداولة الآن في الصحافة وفي الاذاعة وفي المرناء وفي كتب التعليم هي لغة تختلف من حيث بساطتها ، ومن حيث قدرة الطالب على استيعابها ، تختلف كليا عن اللغة التي كانت سائدة قبل أكثر من مائة عام . ولكن المشكلة ليست في اللغة نفسها ، وانما في اعراب كلمات اللغة العربية . ولا أظن أن يوما سيأتي بحيث يمكن أن يستغني المتكلم العربي عن الاعراب .

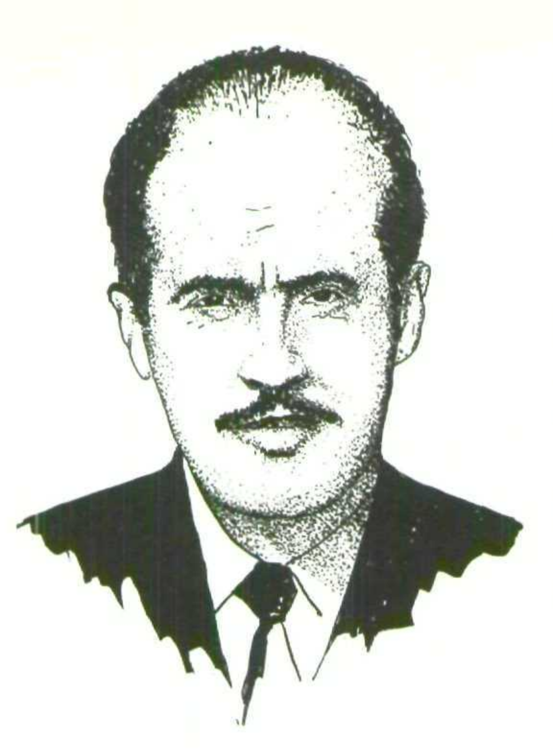
عبد القدوس الانصاري : لسنا مطلقا مع الأستاذ المستشرق « فان أس » .اننا لا نريد أن نبسط اللغة العربية حتى نفسدها . اللغة العربية الفصيحة هي مبسطة بطبيعتها ، طبّـعية بطبيعتها . والعرب الذين تكلموا باللغة العربية الفصحى كانوا بسطاء ، ولم تكن عندهم تعقيدات في حياتهم مطلقا ، فراشهم الصحراء ، وبساطهم السماء ، كلامهم سهل بيّن بسيط مبسط . ثم اختلط العرب بالأعاجم وخاصة بعد ضعف الاسلام وضعف العرب ، فدخل التعقيد ودخل التنميق ودخل كل شيء لم يكن مستحسنا في اللغة العربية ، ولم يكن موافقا ولا مطابقا لبساطة اللغة العربية وبساطة أهلها الذين تكلموا بها بادىء ذي بدء . والآن عادت اللغة العربية نوعا ما الى بساطتها ، مع قليل من الذيول التي علقت بها من كلمات وكلام لا يمت الى اللغة العربية بصلة .

عبد الله الملحوق : الواقع اننا متفقون في أن اللغة العربية أحيطت بمعوقات كبيرة . فالدعوة الى الأخذ باللهجات العامية العربية ، والدعوة الى استعمال الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي . والأمل بأنه ستنشأ لغة ثالثة مبسطة بين العامية والفصحى ، كل هذه الدعوات في رأيي استغلت شيئا واحدا ، هو صعوبة اللغة العربية وصعوبة قواعدها . فعلينا وعلى المسؤولين في البلاد العربية أن يتنبهوا الى هذه الدعوات ، لأنها تعمل جادة على تطويق اللغة العربية ، وبالتالي على اضعافها . فمن المستحسن أن يعاد النظر – عن طريق المجامع العلمية وعن طريق المجالس الاسلامية – في أمر هذه اللغة لايجاد متخصصين يدرسون مشاكل اللغة العربية وقضاياها.. ، ومن ثم يعملون على المحافظة على لغة الضاد في قواعدها ونهجها ونسجها وجمالها ، لأنها تمتلك ناصية التعبير كما تمتلك ناصية البلاغة . وأعتقد ان من الواجب ، التركيز من الآن على الأخذ بتوسيع مجامع اللغة العربية في البلاد العربية ، وأن يناط بها مهمة دراسة مشكلات اللغة العربية وقضاياها وتبسيطها بحيث يستطيع الطفل العربي أن يتعلمها بسهولة ويسر .

واذا استعرضنا اللغات التي انشقت عن اللاتينية نجدها أخذت تركز نفسها وتنمو وتزدهر وتتطور وتستوعب جميع ما يستجد من مفردات ومن مصطلحات حديثة نتيجة لهذه المخترعات الجديدة . فكيف باللغة العربية ، وهي أغنى منها ، بالاضافة الى انها محافظة على شكلها وقواعدها وأسلوبها وخصائصها ؟

عباس فائق غزاوي : من الصعب الحكم على دعوة المستشرق الألماني الأستاذ « فان أس » لأنه يضرب مثلا بما حدث للغة الألمانية فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد لا نكون على احاطة كاملة بالمثل . فلو كان المقصود من دعوته هو تبسيط اللغة العربية الى الحد الذي لا يفقدها جمالها ، ولا يفقدها أصلها ولا يبتعد بها عن لغة القرآن الأصيلة فهذا أمر محمود بطبيعة الحال ، لأن العرب كانوا يبتعدون عن الألفاظ الصعبة والألفاظ النابية عن السمع رغم انها في لغتهم .

أما الدعوة الى أن تكون المجامع اللغوية وسيلة من وسائل تبسيط اللغة ، فأنا أعتقد ، وأرجو أن أكون مخطئا ، ان المجامع حتى الآن لم توفق كل التوفيق في اداء مهمتها ، وفي اختيارها بعض الأسماء العربية المستعاضة عن الكلمات الأجنبية ، وان كثيرا من هذه الأسماء لم يعش الا في أوراق محاضر اجتماعات هذه المجامع ، أو لدى الذين تتبعوا هذه الأعمال .



عصام العماد ، من أسرة تحرير القافلة

عبد القدوس الانصاري : يعتبر تأسيس المجامع اللغوية والعلمية في بلاد العرب من أهم أركان النهضة العلمية والأدبية والتاريخية في البلاد . فاذا حصل أن مجمعا من المجامع اللغوية أو العلمية أتى بكلمة نابية عن الذوق العام ، فليس معنى هذا أن المجامع لا تؤدي مهمة التسهيل لتعلم اللغة العربية ، بل على العكس لقد أوجدت المجامع لأجل تبسيط اللغة العربية وجعلها لغة العرب أجمعين في كل زمان وفي كل مكان .

محسن باروم : لقد أدت المجامع العلمية واللغوية دورا كبيرا في حياتنا الفكرية والعلمية وفي تطوير اللغة العربية وجعلها أكثر ملاءمة لمتطلبات العصر الحديث ، فقد وضعت الكثير من ألفاظ الحضارة التي تلائم مستحدثات العلم ومستحدثات الحضارة الحديثة ، كالمذياع ، والمرناء ، والحافلة ، والهاتف ، وغيرها ..

ولعل ما ذكر سابقا من أن اللغة الألمانية قد مرت بطورين حتى وصلت الى المرتبة التي هي عليها الآن ، انما يرجع الفضل كل الفضل في ذلك الى المجمع العلمي الألماني الذي عمل أعضاؤه على تطوير اللغة الألمانية حتى وصلت الى هذه الدرجة من النضج والتقدم .

عزيز ضياء : لا شك أن مجامع اللغة العربية الموجودة حاليا ساهمت بنصيب كبير في خدمة اللغة ، وفي نقل كثير من المصطلحات العلمية اليها . ولكن المشكلة هي أن ما يصل اليه مجمع

اللغة العربية في أي بلد لا ينتقل الى الصحافة أو الى المدارس أو الى الجامعات . وربما كان هذا بسبب تقصير أجهزة التعليم وأجهزة الاعلام ، اذ من واجب هذه الأجهزة الأخذ بهذا الرصيد أو المحصول من المجمع العلمي ، ثم محاولة نشره وتعميم استعماله كما ينبغي . وعلى سبيل المثال هناك مجمع في بلادنا يشبه المجمع اللغوي يقوم بابدال الكلمات الأجنبية بكلمات عربية أصيلة. ثم تنتقل الكلمة الى الجامعة ، والى أجهزة الاعلام والتعليم ، بحيث يعمم استعمالها بأوامر رسمية خلال ستة أشهر . فالتداول في الأساس هو سر نجاح الكلمة ، وليس المجمع اللغوي ، ولا اللغة في حد ذاتها . والتداول يمكن أن يجعل الكلمة الثقيلة على السمع خفيفة جدا ، كما ان عدمه يجعل الكلمة الخفيفة على السمع ثقيلة .

عباس فائق الغزاوي : صحيح أن شيوع الكلمة يجعلها أكثر سهولة على السمع ، ولكن يجب ألا ننسى أن الكلمة تأتي لتبعد كلمة موجودة بالفعل . فمثلا المنافسة بين « سندويش » و « شاطر ومشطور وبينهما كامخ » تكون كبيرة جدا ، وقد لا يمكن ابدالها بالكلمة العربية . فالمشكلة الرئيسية اذن هي في صلاحية الكلمة المعربة للتداول ، وقابليتها لأن تحل محل الكلمة الأجنبية الموجودة .

عبد الله الملحوق : لقد أصبحت مجامع اللغة العربية ضرورة ملحة في العالم العربي خاصة في هذه المرحلة الدقيقة من التطور العلمي والتقني . ولا شك أن مجامع اللغة ، التي نشأت في بعض البلاد العربية ، أسهمت بقسط وافر ، في ترجمة المفردات والمصطلحات العلمية . وبالاضافة الى هذا ، نجد أن هذه المجامع تتطور من عام الى عام في مفهومها للمفردات ومعانيها ، وفي وصفها للمصطلحات الضرورية . وأعتقد أن هذه المجامع يمكنها أن تؤدي رسالتها بشكل أفضل اذا كانت متكاملة البناء ، تضم المتخصصين في مختلف الحقول للانقطاع لهذا العمل العلمي .

• كيف ننهض باللغة العربية لتصبح لغة عالمية ؟

عبد القدوس الانصاري : ننهض باللغة العربية بتعميم التعليم في الأوساط المختلفة . التعليم العميق الصحيح لا التعليم السطحي ، التعليم الذي ينشد المعرفة ولا ينشد الوظيفة . ونطور اللغة العربية بانشاء المجامع العلمية واللغوية المتحركة ، وبالاكثار من التأليف المفيد في العلوم الحديثة والقديمة ، وبنشر ما انطوى من الكنوز الخفية التي بدأ بعضها يظهر في الآفاق ، وبترقية مستوى صحافتنا واذاعتنا ومرنائنا ، وبصد التيار القوي الذي يعاكسها من جميع الجهات . ونستطيع أن نطور اللغة العربية اذا تمكنا من تعلم العلوم الحديثة ونقلها جميعا اليها ، واذا قوينا وقويت دولنا وقويت أممنا ، لأن القوة تهب القوة ، وقوة الأمم تهب القوة للغات ، وضعف الأمم يهب الضعف لها . ولا يمكن لأمة ضعيفة أن تقوي لغتها لتصبح لغة عالمية ، كما انه لا يمكن لأمة قوية ، مهما تردت لغتها ، الا ان تقوي هذه اللغة . واللغة العربية ليست متردية بل هي على درجة كبيرة من الرقي ، فالعرب قبل الاسلام لم تكن لغتهم عالمية ، وانما كانت محصورة في أوساطهم الخاصة . فلما جاء الاسلام وقويت شوكتهم ، قويت لغتهم تبعا لذلك ، حتى صارت لغة عالمية ، يفتخر ويتباهى بها حتى من كان من غير أهلها ، أو من كان بعيدا عن الاسلام .

عصام العماد : اللغة جزء من حضارة الأمة ، وبقدر ما تكون هذه الأمة متقدمة وتحتاجها الأمم الأخرى ، بقدر ما يكتب للغتها الانتشار . فمتى أصبحنا أمة لها وزنها العالمي ، أصبحت لغتنا لغة عالمية .

عزيز ضياء : الواقع اننا نكاد أن نكون متفقين في هذا الموضوع ، ولكن أحب أن أتساءل ما هو المعنى المقصود بكلمة عالمية . هل يعنى بذلك الانتشار العالمي ، أم ان اللغة نفسها تصبح معترفا بها عالميا . اذا عنينا الانتشار ، فلا سبيل الى انتشار لغة ما الا بالقوة . وما لم تتوفر هذه القوة في صاحب اللغة فلا سبيل له الى أن يفرضها على مستوى الانتشار العالمي . فاللغة العربية مع ما يبدو عليها من أنها محصورة في ١٢٠ مليون عربي يمكن أن تسمى عالمية ، وذلك لأن نسبة كبيرة من مفردات اللغات التركية ، والأوردية ، والفارسية والاندونيسية هي مفردات عربية . واللغة العربية عالمية بحضارتها ، وبتراثها الكبير ، وبالدين الاسلامي الذي ينتشر بين ٦٠٠ مليون مسلم ، وبما فيها من روائع الشعر والأدب والفن والفلسفة والقانون والتشريع . هي عالمية بالفعل ، ولكنها ليست عالمية الانتشار ، لأن الانتشار هذا لا يحققه الا قوة صاحب اللغة .

عبد الله الملحوق : في مطلع الحديث تكلمنا عن انتشار اللغة العربية ، وكيف يمكن أن تصبح لغة عالمية . والواقع أن اللغة العربية أثبتت أنها لغة عالمية ، في عدة مراحل من التاريخ . ارتفع شأن اللغة بظهور الاسلام وأصبح هنالك تلازم بينهما ، مما أضفى عليها ميزة البقاء والاستمرار ، رغم تأخر البلاد العربية في بعض مدارج الرقي الحضاري ، وبقيت اللغة قوية تمتلك ناصية التعبير والبلاغة والاشتقاق ، ولها القدرة على مواكبة العلم . فبناء على هذا ، أعتقد أن علينا أن نجسد الفكر العربي الذي هو المحتوى الحقيقي للغة العربية اذا شئنا لها الانتشار والاعتراف بها دوليا ، أي أن نكون نحن أنفسنا عالميين في العلوم ، والفنون والآداب ، والاقتصاد ، والهندسة ، والطب ، وغير ذلك . ويكون ذلك بتلقي الثقافة العميقة الحق ، وتعميمها ، وعدم الاكتفاء بشذرات من العلم أو نتف من المعارف .

محسن باروم : أؤيد ما قاله الأستاذ عبد الله الملحوق ، وأضيف بأن يقوم مجمع علمي بترجمة جميع الأبحاث العلمية ، التي تنشر في مختلف دول العالم وفي مختلف لغات العالم ، الى اللغة العربية . كما نقوم بالترجمة من اللغة العربية عن طريق هذا المجمع ، أو عن طريق دار للترجمة تساندها كل المؤسسات والهيئات العلمية ، وأن نزودها بالاكفاء والمختصين في مختلف العلوم للقيام بأعمال الترجمة ، التي تثري اللغة العربية وتثري الفكر العربي المعاصر وتجعله يرقى الى مستوى الفكر العالمي . وعلينا أن نشجع المؤلفين كي يتفرغوا للتأليف والترجمة والنشر ، حتى يستطيعوا أن يقوموا بهذه المهمة الكبرى ، الرامية الى تطوير الفكر العربي الى أن يصل الى المستوى العالمي المنشود .

عباس فائق الغزاوي : الواقع أن الأساتذة لم يتركوا مزيدا لمستزيد ، فقد استوفوا الموضوع من نواحيه المختلفة . وكل ما أريد أن أقوله ، وقد يكون واردا في بعض ما قاله الأخوان ، هو أن النهوض باللغة العربية لتكون لغة عالمية ليس هدفا في حد ذاته ، رغم انه من الأمنيات العزيزة لكل ناطق بلغة الضاد ، وانما الهدف الأكبر أو الذي يسبق النهوض باللغة العربية ، هو أن ننهض نحن ، وان نكون عالميين قوة وعلما وتراثا وأدبا وفنا . فاذا كنا أقوياء في فنون الأدب ، والاقتصاد ، والحياة ، وغير ذلك .. فرضنا وجودنا على هذه المعمورة وأصبحت لغتنا عالمية .

الى هذا الحد كان الوقت قد تعدى منتصف الليل ، والجهد والارهاق قد أخذا ينتابان البعض من الأدباء الكرام . فكان لا بد والحالة هذه من الاتيان على نهاية هذه الندوة على أمل لقاء آخر في مناسبات أخرى وندوات مماثلة ■

عصام العماد

مختارات أشعار العرب

المُفَضَّليَّات للمُفَضَّل الضَّبِّي

بقلم الاستاذ احمد ابو الخضر منسي

المفضليات باشر طبعها العلامة «ثور بكي» ، وطبع منها الكراس الأول في مدينة «لايبسيك» عام ١٨٨٥م . وهي اختيارات لجملة من شعراء العرب جمعها المفضل الضبي اللغوي الذي أخذ عنه الميداني في كتاب الأمثال .

وأول من اختار مجموعة من أشعار العرب هو المفضل . وجمع بعده الأصمعي مختاراته .

والمختارون من علماء العرب رهط بارزون منهم : أبو زيد القرشي وله جمهرة أشعار العرب . وأبو السعادات بن السحري ، وله مختارات شعراء العرب ، وأبو تمام ، وله المختارات المعروفة بديوان الحماسة ، وحذا حذوه في تلك البحتري ، وأبو هلال العسكري ، والأعلم الشنتمري .

والمفضل الضبي من مواليد الكوفة وعلمائها المتقدمين ، راوية موثق في روايته . ولد في العشر الأولى من القرن الثاني الهجري وتوفي في أواخر السبعينات منه . وأكثر شعر المفضليات مستشهد به في «لسان العرب» و «معجم البلدان» .

وكان المفضل الضبي أحد كثيرين من العلماء الذين خرجوا مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسين ابن علي ، على المنصور . وكان ابراهيم متواريا عند المفضل . فطلب منه أن يخرج اليه شيئا من كتبه ليتفرج بها . فأخرج اليه كتبا من الشعر اختار منها السبعين قصيدة التي صدرت بها مختارات الشعراء ، ثم أتمت عليها باقي الكتاب ، وظفر بها المنصور فعفا عنه وألزمه المهدي . وللمهدي عمل الضبي هذه المختارات .

كان الضبي أعلم الناس بأشعار العرب ، وأرواهم لها . وقد سمع ابن الاعرابي ، وهو ربيب المفضل ، عنه الدواوين وصححها . وابن الاعرابي علم من ائمة اللغة ورواة الشعر . مات عام ٢٣٢ للهجرة ، وعنه أخذها أبو محمد الانباري الذي استعان بالنحوي الكبير أبي جعفر ، المعروف بأبي عصيدة ، على قراءة هذه الأشعار فانكر على المفضل أشياء ، وفسّر وروى .

على أن ما نرويه من هذه الأخبار فيه اختلاف واضطراب ، اذ أن أكثر رواتها من رجال الأدب الذين لم تنقد تراجمهم وأخبارهم ورواياتهم بالنقد العلمي الدقيق .

وأصل مختارات المفضل سبعون لابراهيم ، وزادها عشرا للمهدي ، وقرئت على الأصمعي فزاد فيها ، وزاد فيها أيضا من بعده .

وروى ابن قتيبة قطعة من الشعر يزعم ان الأصمعي اختارها مما اختاره لخفة الروي ، مع انها غير مثبتة في الأصمعيات ، ولا في المفضليات ، فيكون من مختار الأصمعي ما فقد أو حذف .

وقد شرح المفضليات خمسة من مبرزي علماء اللغة ، هم أبو محمد الانباري وابن النحاس النحوي والمرزوقي والتبريزي والميداني صاحب مجمع الامثال فحرروا جميعا مضامينها من اللبس والغموض .

ومن أهم الشعراء الذين اختيرت لهم قصائد في المفضليات تأبط شرا ، وهذا لقب جاءه من سؤال سائل عنه ، وكان قد خرج متأبطا سيفا ، فقالت أمه : تأبط شرا وخرج . وهو قرين للشنفري ، وعمرو بن براق . وثلاثتهم من العدائين الذين لم تلحقهم الخيل . وفي القصيدة تصوير لقوة جريه ، وفخره بتجشمه الأخطار ، واشادته بكرمه ، منددا بمن يلومه على بذل المال .

ومنهم متمم بن نويره ، وهو صحابي وله في أخيه مراثيه . وبشامة بن عمرو ، خال زهير ابن أبي سلمى ، وكان كثير المال . فقال لـه زهير : لو قسمت لي من مالك . فقال لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، ويعني ما أورثه من شعره . وكـان أحزم الناس رأيا . وكانت غطفان تستشيره اذا أرادت الغزو .

والمسيب بن على ، خال أعشى قيس . وكان الأعشى راويته ، يطري شعره ويأخذ منه . وهو أشعر المقلين في الجاهلية ، وهم ثلاثة : المسيب ، والمتلمس ، وحصين بن حمام المري ، وشعره من أقدم شعر المديح ، مدح به القعقاع ابن معبد الملقب بتيار الفرات لسخائه وهو صحابي أدرك الاسلام . والمسيب في قصيدته يبدي الأسى على فراق حبيبته ويتغزل بها ، ويفخر بنفسه .

والمرار بن منقذ شاعر اسلامي مشهور معاصر لجرير ، وقد هاج الهجاء بينهما .

ومزرد بن ضرار الذبياني فارس أسلم وله صحبه . وكان هجاء خبيث اللسان . حلف ان لا ينزل به ضيف الا هجاه ، وهو أخو الشماخ .

والشنفري الأزدي ، ابن أخت تأبط شرا وهو أعدى منه . أخذ أسيرا في بني سلامان وكان غلاما صغيرا ، فنشأ فيهم . فلما أساؤوا اليه غضب وتوعدهم أن يقتل مائة رجل منهم ، فقتل تسعة وتسعين . بدأ في قصيدته بالغزل والتشبيب والمباهاة بقوته وبأسه ، ووثوقه بصديقه تأبط شرا ، وفخره باستهانته بالحياة ، وبمجازاته الخير والشر بمثلهما .

ومن قصيدته بيتان يقول فيهما :

وانـي لحلو ان أردت حلاوتـي
ومر اذا نفس العزوف استمـرت
أبـيّ لما آبـى سريع مباءتـي
الى كل نفس تنتمي فـي مسرتي

وسلامة بن جندل السعدي شاعر جاهلي قديم . من طريف ما يقول في شعره ، تحسرا على الشباب .

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
أودى وذلك شأن غـير مطلوب
ولّى حثيثا وهـذا الشيب يطلبـه
لـو كان يدركه ركض اليعاقيـب
أودى الشباب الـذي مجت عواقبه
فيـه نلذ ولا لـذات للشيـب
وللشبـاب اذا دامـت بشاشتـه
ود القلوب مـن البيض الرعابيب

وعمرو بن الأهتم بن سمي المنقري ، وهو خطيب ، بليغ ، شاعر شريف ، سيد في قومه . كان يقال لشعره « الحال المنشرة » . وفد الى الرسول عليه الصلاة والسلام في وفد بني تميم ، فسأله عن الزبرقان بن بدر ، فمدحه ثم هجاه ، ولم يكذب في الحالين . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان من الشعر حكما وان من البيان لسحرا » .

وعبدة بن الطبيب ، وهو مجيد ليس بالمكثر ، مخضرم ، أسلم وشهد قتال هرمز مع المثنى . وكان في جيش النعمان بن مقرن في حرب الفرس بالمدائن . وهو الذي رثى قيس بن عاصم المنقري بقصيدته ، التي يقول فيها :

وما كان قيس هلكه هلك واحـد
ولـكنـه بنـيان قـوم تهـدم

وقال عمرو بن العلاء : « هذا البيت أرقى بيت قيل » . وقـال ابن الاعرابي : « هو قائم بنفسه ما له نظير » .

وذو الاصبع العدواني ، وكان بنو عدوان من أعز العرب ، وأكثرهم عددا ، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا ، ويسجل ذو الاصبع هذا الشقاق والتناحر . وفي عداوة ابن عمه له يقول :

يـا عمرو لـو لنت لي ألفيتني بشرا
سمحا كريما أجازي من يجازيني
والله لـو كرهت كفي مصاحبـتي
لقلت مـذ كرهت قربي لهـا بيني

وشبيب بن البرصاء ، وانما لقب بهـا لبياضها ، وهو شاعر فصيح اسلامي من شعراء الدولة الأموية . بدوي لم يحضر الا وافدا أو منتجعا . وكان شريفا ، سيدا في قومه . وقد أصابه في عينه رجل من طي ، في حرب كان بينهم .

وخيرهم وأجودهم اختيارا سويق بن أبي كاهل اليشكري ، وهو شاعر مقدم مخضرم . عاش في الجاهلية دهرا ، وعمر في الاسلام الى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . قرنه الجمحي في طبقاته بعنترة ، وقرنه أبو عبيدة بطرفة ، والحرث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم . وحقا ان شعره نسج الديباج ، قريب الى الاسماع والعقول . ومن قصيدة له :

بسطت رابعـة الحبل لنـا
فوصلنـا الحبل منهـا ما اتسع
حمرة تجلو شتيتـا واضحـا
كشعاع الشمس في الغيم سطع
صقلتـه بقضيـب نـاضر
من اراك طيـب حتى نصع
أبيض اللون لـذيـذا طعمـه
طيب الريق اذا الريق فـدع

الى أن يقول فيها :

وكذاك الحـب مـا أشجعه
يركب الهول ويعصى من وزع
فأبيـت الليل مـا أرقـده
وبعيـني اذا نجـم طلـع
واذا مـا فات ليل قـد مضى
عطف الأول منـه فرجـع
يسحب الليل نجومـا طلعـا
فتـواليـهـا بطيـئـات التـبع
ويـزجيـهـا عـلى ابطائهـا
معرب اللون اذ اللون انقشع

وأكثر ما ورد في المفضليات من الشعر الغامض ، ويسمى بالحوشي ، وهو الغامض من الكلام ، ومثله الوحشي وهو غريب الكلام ، نادر الاستعمال . ولذلك تضافر عليها الشارحون من أعلام اللغة العربية كأبي محمد الانباري ، وابن النحاس النحوي ، والمرزوقي والتبريزي ، والميداني صاحب مجمع الأمثال .

فهذه المفضليات المختارة ، مع ما حظيت به من الشروح ، تستحق من رجال اللغة والأدب العالي ، الاطلاع عليها ، والافادة منها ، فهي ذخر نفيس يتبارى في اقتنائه المقتنون .



حتى آخر قطرة زيت

(ليبيا)

يجري قياس الضغط في قاع البئر المنتجة للتأكد من استمرار تدفق الزيت منها بواسطة أداة لقياس ضغط الغاز تنزل في جوف البئر عبر فتحة تشحيم الصمامات .

يَبْذل المَعْنونَ بصِناعَة الزّيت جُهودًا كَبيرَة وأموالاً طائلة لاستِخراج أكبر كمّية ممكنة من الزيت الثابت وجوده في المكامن الصّخريّة وذلك باستخدام مختلف أساليب التقنيّة العلميّة الحديثة.

هذه الكميات الهائلة من الزيت الخام التي تتدفق يوميا من مكامن حقول الزيت الواقعة ضمن منطقة الامتياز الممنوحة لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ، تتسرب من خلال مسامات الصخور الجوفية الرملية والجيرية ، الى قيعان الآبار ثم الى فوهاتها . وجدير بالذكر أن الزيت في المملكة العربية السعودية يندفع تلقائيا من مكامنه الى سطح الأرض بقوة الضغط ، دون الحاجة الى استخدام المضخات .

ان التحكم في تحركات الزيت في جوف الأرض ، أمر فيه تحدّ كبير لمهندسي مكامن الزيت ، اذ ينبغي عليهم التحكم بدقة في كميات الزيت المستخرجة من تلك المساحات الشاسعة في باطن الأرض من جهة ، والمحافظة على التوازن بينها وبين الطاقة الدافعة للزيت الى سطح الأرض من جهة أخرى . كما ينبغي عليهم استخدام الأساليب الاقتصادية الفعالة لانتاج أقصى كمية ممكنة من الزيت الخام .

فهندسة أبحاث المكامن اذن تعنى اكثر ما تعنى بتحركات الزيت فيها ، وبدراسة تطويرها في المستقبل بحيث تنتج الزيت الخام أو الغاز ، أو كليهما ، بأقصى طاقة اقتصادية ممكنة .

ويرجع تاريخ هذه الدراسة الى باكورة تاريخ صناعة البترول في منتصف القرن التاسع عشر ، حين كان الانتاج شحيحا ، فأخذ رواد هذه الصناعة يستقصون الأسباب المؤدية الى هذا النقص في الانتاج ، وحاولوا عبثا استخدام مضخات الغاز الفراغية لاستخراج الزيت من أعماق الأرض. ثم عمدوا بعدئذ الى فكرة حقن الهواء في الآبار المتصلة بالمكامن المنتجة للزيت .

وفي عام ١٩١٤ ، أخذ الجيولوجيون يعملون مع الحفارين جنبا الى جنب على منصة الحفر ، حيث كانوا يقومون بتحليل عينات الصخور الجوفية ، التي كان المثقب يحملها اليهم . ومنذ ذلك الحين ، أخذت أعمال الزيت تتسم بطابع التقنية شيئا فشيئا ، بينما استمرت مثاقب الحفر في سبر أغوار طبقات الأرض ، رغم التكاليف الباهظة المترتبة عنها ، وذلك حرصا على مواجهة الطلب المتزايد على الزيت .

وفي مستهل العهود الأولى لهذه الصناعة كان رجال الزيت يظنون ، عندما كان الزيت يتوقف عن التدفق الى سطح الأرض تلقائيا ، ان آباره قد نضبت ومصادرها قد جفت ، اذ لم تكن لديهم فكرة عن كميات الزيت المتخلفة في المكامن . ولاستخراج هذا المقدار المتخلف كان عليهم أن يعرفوا الشيء الكثير عن تحركات الزيت في مسامات الصخور في أعماق الآبار المنتجة . ومن هنا ظهرت هندسة أبحاث المكامن في الثلاثينيات من هذا القرن ، ثم أخذت تنمو تدريجيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، الى أن أصبحت اليوم تستخدم أحدث الأجهزة والحاسبات الألكترونية في دراسة المعلومات وتحليلها بشكل يساعد مهندسي الزيت على وضع البرامج الفنية الرامية الى تطوير الانتاج بصورة تتفق ومتطلبات الأسواق العالمية في المستقبل .

وكان هدف مهندسي مكامن الزيت هو جعل الانتاج يقوم على أساس علمي ، فاعتمدوا في ذلك على نظريات المهندسين الجيولوجيين فيما يختص بتكوين الزيت والطبقات الصخرية الحاملة له . ومن المعروف أن الزيت ، يتجمع عادة في برك ، أو مصائد جيولوجية من الصخور المسامية التي تعلوها طبقة من الصخور غير المسامية ، أحدثتها التغييرات التكوينية في جوف الأرض . ويتسرب الزيت والغاز والماء عبر مسام هذه الصخور باتجاه سطح الأرض . ويكون تسرب الغازات عادة أسرع من الزيت ، وتسرب الزيت أسرع من الماء وذلك نتيجة للتفاوت في ثقلها النوعي . وقد يحدث أثناء التسرب أن تصطدم هذه السوائل المتحركة بطبقة من الصخور عديمة النفاذية ، فتحول دون استمرار تحركها ، فتتجمع عندئذ في منحنيات تلك الطبقة ، مكونة مع الزمن خزانات كبيرة ، يكون الزيت فيها محصورا بين الغاز في الأعلى والماء في الأسفل . وتلك الخزانات الطبيعية هي المصائد أو المكامن التي يبحث رجال الزيت عنها .

ومن صفات صخور المكامن هذه انها تسمح للزيت بالحركة عبرها أي انها ذات مسامية ونفاذية . ومعلوم أن ذرات الرمل التي تتكون منها صخور الطبقات الحاملة للزيت ، الرملية والكلسية ، لا تطابق بعضها البعض بانتظام ، وانما تبقى بينها فراغات دقيقة تشكل في حجمها حوالي

يعلو فوهة بئر الزيت في المملكة العربية السعودية مجموعة من الصمامات الضرورية لتشغيلها واقفالها وتحويلها حسب الضرورة .

تحفظ عينات الصخور المستخرجة من جوف الآبار في اوعية تحمل بطاقات تعريف بها ، حتى يتم **فحص مساميتها ونفاذيتها وصفاتها الاخرى .**

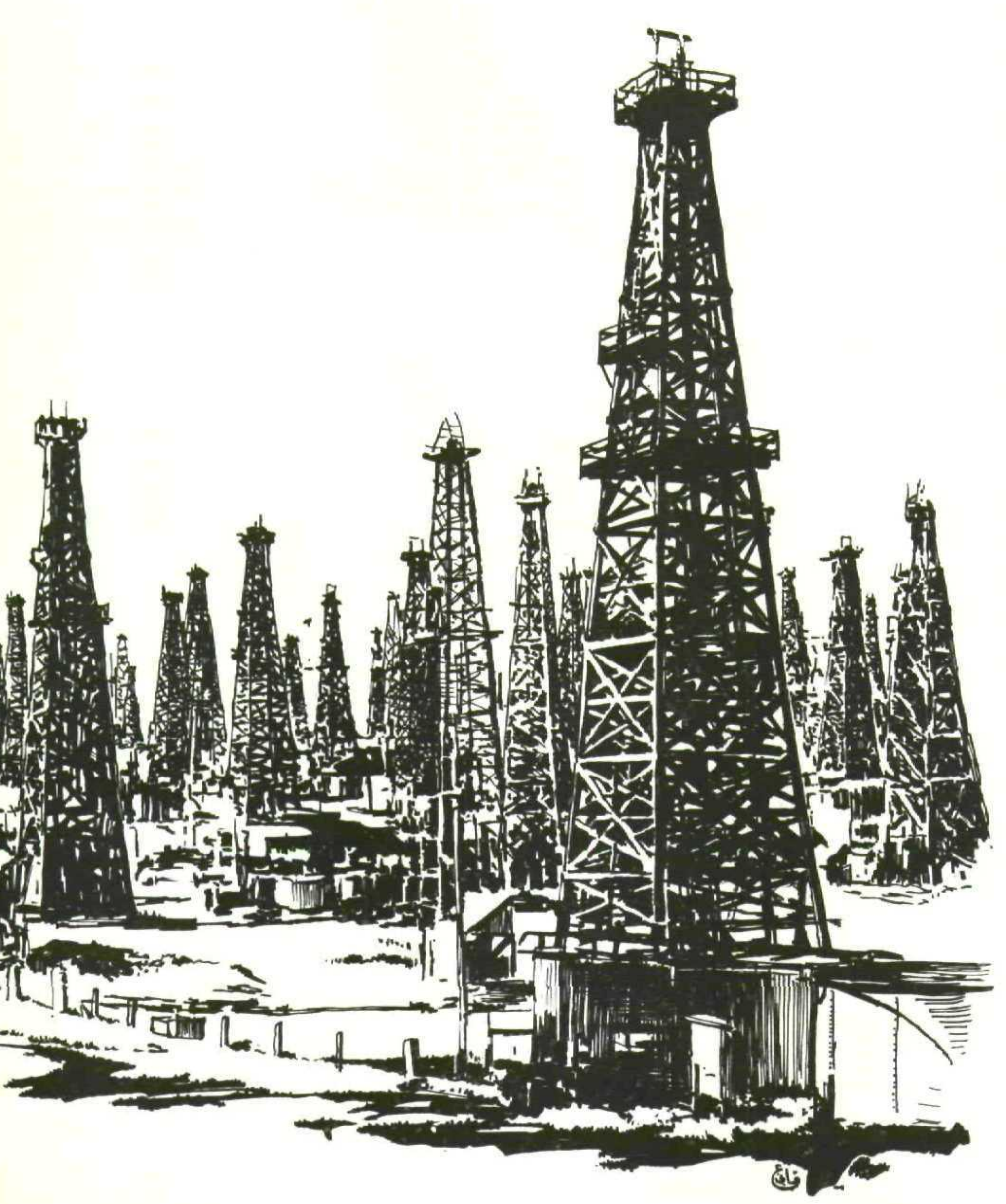


ثلث حجم هذه الطبقات الصخرية نفسها . تلك الفراغات هي التي يتسرب الزيت والغازات عبرها ، وهي التي تكسب الصخور صفة المسامية . وعندما تكون مسام صخور المكامن متداخلة ومتصلة بعضها بالبعض الآخر بحيث يستطيع الزيت المضغوط المرور عبرها ، عندئذ تطلق على هذه الصخور صفة النفاذية . وتعتمد بالطبع سهولة تسرب الزيت عبر مسام الصخور على حجم ذرات الصخور وشكلها والوضع التي هي عليه ، وهي العوامل التي تحدد حجوم المسام واتجاهها ، وهي مثار اهتمام رجال الزيت .

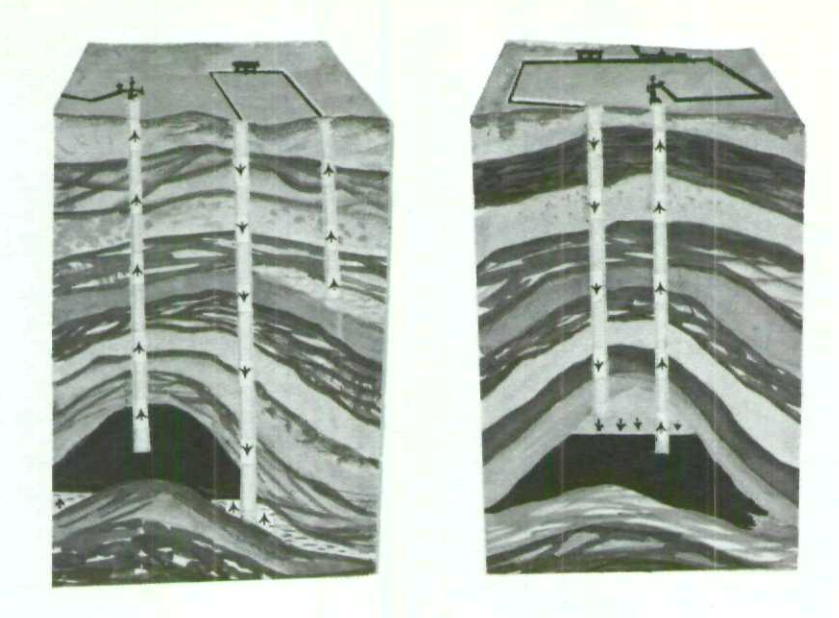
وكما ان الزيت أو الماء لا يجري عبر خط الأنابيب دون قوة دافعة ، كذلك تحتاج السوائل الجوفية الى قوة دافعة (ضغط) تمكنها من التسرب عبر مسام الصخور . فالصفة التي تؤثر في قدرة السوائل على التحرك عبر المسامات هي اللزوجة . وعلى سبيل المثال ، فان اللزوجة وقوة التلاحم بين جزيئات زيت التشحيم أعظم مما هي عليه بين ذرات البنزين ، لذلك فان زيت التشحيم أبطأ في تحركه من البنزين .

وفي أواسط القرن التاسع عشر ، توصل العالم الفرنسي « هنري دارسي » ، من خلال تجاربه على مصافي الماء ، الى معادلة يمكن بواسطتها تقدير كمية المياه التي تمر خلال هذه المصافي . وقد غدت هذه المعادلة من الأهمية بحيث استخدمها رجال الزيت في تقدير جريان السوائل الجوفية عبر مسام الصخور ، وفي معرفة سمك طبقات الصخور المنتجة ، ومقدار نفاذيتها ، ومواصفات الزيت الذي تحتوي عليه هذه الصخور ، وكذلك معرفة فرق الضغط بالأرطال على البوصة المربعة ، بين قاع البئر والصخور الجوفية المجاورة لها ، مما يعطي دلالة واضحة عن مقدار انتاج البئر في اليوم .

ولتقدير تحركات السوائل داخل المكامن ، يوجد لدى أرامكو طرق مختبرية لفحص مسامية صخور هذه المكامن ونفاذيتها . فالعينات التي تستخرج من الصخور الجوفية أثناء الحفر ترسل الى مختبر الزيت في الظهران ، حيث تؤخذ منها أجزاء صغيرة لا يتجاوز طول كل منها أربعة سنتيمترات، وقطرها نحو ٣ سنتيمترات ، تمهيدا لغسلها بواسطة منظف كيماوي لازالة الزيت والمواد الغريبة الأخرى العالقة بها ، ثم تجفف جيدا على حرارة مقدارها ١٠٥ درجات فرنهايت في فرن فراغي . وبعد تجفيفها توضع في جهاز خاص يدعى



كانت آبار الزيت في بداية عهد هذه الصناعة تحفر الى جوار بعضها دون مراعاة وجود حيز مناسب بين بئر وأخرى مما ادى الى انخفاض الضغط في مكامن الزيت وبالتالي الى بقاء كية كبيرة منه في جوف الارض .



ان حقن الغاز (الى اليمين) والمياه (الى اليسار) في جوف الارض ، هما الوسيلتان المتبعتان للحفاظ على الضغط في مكامن الزيت .

« مقياس المسامية » ، وذلك لمعرفة حجم المسام في كل منها بالنسبة الى حجم كتلتها ، عن طريق حصر العينة حصرا جيدا وتسليط تيار من النيتروجين عليها تحت ضغط مرتفع ، وبقياس كمية الغاز التي اخترقت مسامها يعرف مدى مساميتها . اما لقياس نفاذية العينة فتحصر في وعاء معدني يتصل به خرطومان متقابلان . وتعرف مدى نفاذيتها بقياس سرعة جريان غاز النيتروجين في الخرطومين ، وتفاوت الضغط في مختلف أجزاء العينة .

وقد عرفت صناعة الزيت في العقود القليلة الماضية الكثير عن مصادر قوى الدفع الطبيعية المختزنة في أعماق المكامن ، من ذلك أن الغاز والزيت في المكامن يكونان تحت ضغط مرتفع ، فمتى أحدث ثقب في الطبقة التي تحمل الزيت ، اندفع الغاز الى الخارج مصطحبا معه كميات من الزيت . لذا نجد أن رجال الزيت يجرون دراسات مستمرة على المكامن في سبيل ايجاد أفضل الطرق الكفيلة بالحفاظ على الضغط فيها .

والمعروف أن الزيت في المملكة العربية السعودية يتدفق تلقائيا دون اللجوء الى استخدام المضخات لاستخراجه ، كما هي الحال في كثير من بلدان العالم . ويرجع الفضل في ذلك الى الأساليب التي يتخذها مهندسو المكامن في « أرامكو » للموازنة بين كميات الزيت المستخرجة ، والطاقة الموجودة في المكامن . اما لجوء البلدان المنتجة للزيت في بعض أنحاء العالم الى استخدام المضخات ، فذلك لأن اكتشاف حقولها وتطويرها قد تم قبل أن يتوصل رجال الزيت الى معرفة الكثير عن هندسة المكامن ووسائل المحافظة على الضغط فيها . وعندما تم لهم ذلك كانت الآبار المكتشفة تفتقر الى القوة الدافعة فيها ، الا وهي (الضغط) .

لقد أدرك مهندسو المكامن انه ، للمحافظة على مستوى عال من الضغط من المكامن ، ينبغي التعويض عن الزيت المستخرج بكميات من الغاز والماء . وكثيرا ما يحدث هذا التعويض طبيعيا ، فتبادر المياه الجوفية ، حال استخراج الزيت ، الى الحلول مكانه . لكنه في حالة افتقار هذه المياه الجوفية الى ضغط كاف ، فانه يعمد الى عملية حقن كميات من الغاز أو الماء في المكامن ، من خلال آبار خاصة تحفر لهذه الغاية .

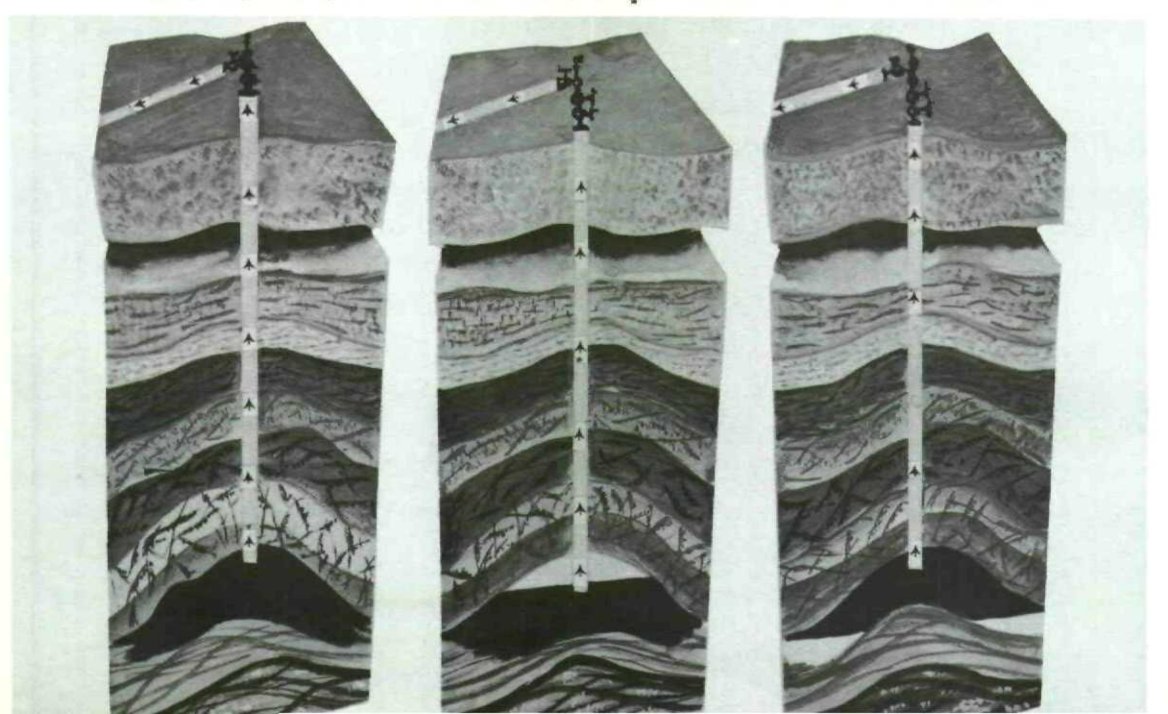
وتبعاً للتفاوت في الثقل النوعي لكل من الغاز والماء والزيت في المكامن ، فان الزيت يكون عادة محصورا بينهما . ولما كان الماء والغاز يمثلان مصدر قوة دفع الزيت من باطن الأرض الى سطحها ، فان مهندسي المكامن يحرصون كل الحرص على الموازنة بين سرعة انتاج البئر ، وعدد الآبار المنتجة للتأكد من عدم خروج الغاز أو الماء مع الزيت بغية المحافظة على عامل الضغط في المكامن . فعندما يخرج الزيت بكميات ضخمة من باطن البئر يحدث فراغا يبادر الماء الكامن تحته مباشرة الى سده مكونا شبه مخروط مائي تحت البئر ، مما يتسبب في خروج الماء مع الزيت الى سطح الأرض وتخفيف الضغط الكامن .

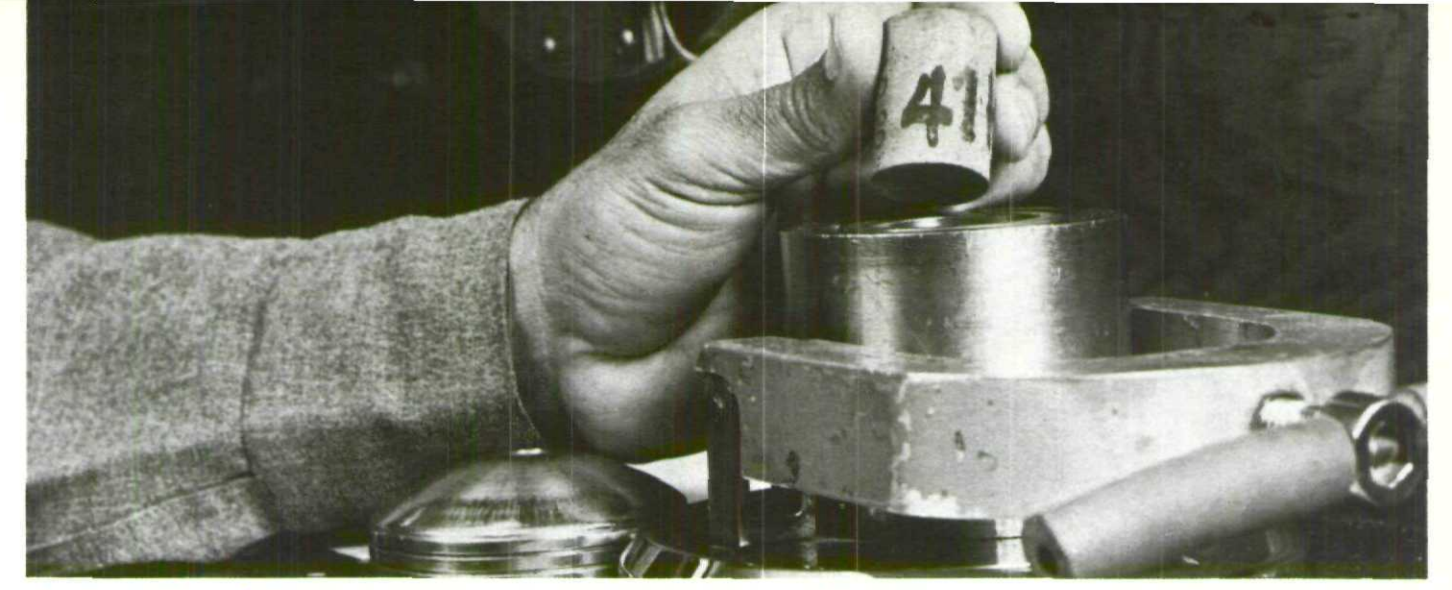
وعند حفر بئر جديدة يلجأ مهندسو المكامن الى طرق عديدة للتأكد من أن البئر ستنتج زيتا غير مصحوب بغاز أو ماء . وأكثر هذه الطرق فعالية هي انزال أنبوب في بئر الزيت الجديدة بحيث يخترق المكمن الى أن يتوسط الطبقة الحاملة للزيت ، منعا لاختلاط الزيت بالغاز أو الماء عند الانتاج .

لقد مر وقت طويل ورجال الزيت يعتمدون على عامل الضغط الطبيعي الموجود في المكامن لاستخراج الزيت الى سطح الأرض . لكنهم تمكنوا فيما بعد من ابتكار أساليب علمية اقتصادية تعطي نتائج فعالة شبيهة بالنتائج التي يعطيها

معمل حقن الغاز في عين دار ، ويحقن يوميا ١٦٠ مليون قدم مكعب من الغاز في المكامن ، وذلك للحفاظ على مستوى الضغط فيها .

من الوسائل التي يستخدمها مهندسو البترول في طرد الزيت من المكامن طبقة من الماء يعلوها الزيت (الى اليمين) . وطبقة من الغاز تعلو الزيت (في الوسط) وطبقة من الغاز المذاب في الزيت (الى اليسار) .





توضع عينة الصخور في جهاز قياس المسامية حيث يسلط عليها تيار من النيتروجين لقياس مساميتها .

الضغط الطبيعي في مكامن الزيت . ومن بين هذه الأساليب عمليتا حقن الغاز والماء في المكامن .

وقد استخدمت أرامكو ، وما زالت ، عمليتي حقن الغاز والماء في المحافظة على الضغط في حقلي بقيق وعين دار ، حيث كانت تستخرج الماء المستخدم من الطبقة الصخرية المعروفة باسم «اكويفاير» وتحقنه في مكامن الزيت ، بينما تأخذ الغاز من معامل فرز الغاز من الزيت ، وتعيده الى المكامن تحت ضغط قد يصل الى ٢١٠٠ رطل على البوصة المربعة ، في معمل تبلغ طاقة الحقن فيه ١٦٠ مليون قدم مكعب من الغاز في اليوم . وقد بلغت تكاليف انشاء المعمل الاجمالية حوالي ١٣,٥ مليون ريال سعودي . بيد أن حقن الماء في المكامن يحتاج الى دراسة شاملة وتخطيط متقن لتحديد الأماكن التي ينبغي حفر آبار حقن الماء فيها بحيث تكون نقطة وسط بين الآبار المنتجة ، لأن الماء المحقون يمر عبر مسام الصخور ، فيدفع الزيت باتجاه الآبار . وفي بعض الأحيان ، يقترح مهندسو مكامن الزيت من خلال نتائج أبحاثهم ، حفر آبار حقن الماء في أطراف المكامن ، وآبار حقن الغاز في الأجزاء العليا منها ، وهذه الطريقة تنطبق على آبار الحقن التابعة لأرامكو .

هذا ، ولا يزال رجال الزيت ، على الرغم من جميع الطرق العلمية التي يتبعونها في تعيين مواقع آبار الحقن ، يعجزون عن تحقيق كل ما يصبون اليه ، وهم يحاولون باستمرار ايجاد طرق جديدة لاستخراج الزيت من مسام الصخور الجوفية .

في المكامن التي تحتوي على زيت ذي درجة عالية من اللزوجة ، بوشر باستخدام طريقة الدفع الحراري التي لاقت الكثير من الاستحسان . وتتطلب هذه الطريقة مبدئيا استخدام حرارة قد تصل الى ٢٨٠ درجة مئوية ، وذلك للتخفيف من نسبة لزوجة الزيت والسماح له بالتحرك بسهولة . وقد لجأ رجال الزيت في التجارب الأولى الى استخدام الماء الحار والبخار كوسيلة للتسخين ، بينما استخدمت في بعض التجارب الحديثة المرضية طريقة حرق جزء من الزيت في المكامن ، بعد تسليط تيار هوائي عليه يساعد على الاحتراق . فالحرارة لا تقلل من لزوجة الزيت فحسب ، وانما تولد أيضا طبقة كثيفة من بخار الماء والغازات ، تساعد بدورها في عملية دفع الزيت الى الخارج .

ويستخدم القائمون على صناعة الزيت في الولايات المتحدة الأمريكية حاليا التفجيرات النووية في الطبقات الصخرية المنتجة في محاولة لأنقاذ المكامن التي أوشكت على النضوب . فالتفجيرات النووية ، في رأي علماء البترول ، تسبب فجوة جوفية كبيرة تكون بمثابة فتحة بئر واسعة ينساب اليها زيت المكمن بسهولة .

وكما ان الدراسة الجيولوجية وحدها لا تستطيع أن تؤكد وجود الزيت في الصخور الجوفية الا اثر القيام بالحفر والعثور على الزيت ، فان الحفر وحده لا يؤدي الى تقدير طاقة الحقل الانتاجية الا بعد أن يباشر في الانتاج مدة معينة ، تدرس خلالها أمور عديدة تتعلق بمستقبل الانتاج ، منها انتاج الحقل من الزيت والغاز والماء ، ودرجات الحرارة والضغط في قيعان الآبار . وهي أمور تكشف الكثير عن مدى استمرار الحقل في الانتاج ، وعن طاقة انتاجه القصوى يوميا ، وعن مقدار الاحتياطي الثابت وجوده من الزيت .

والجدير بالذكر أن آبار الزيت في أرامكو ، تتعرض مرة كل عام ، وفي بعض الأحايين كل ستة أشهر أو كل ثلاثة أشهر ، لسلسلة من عمليات الكشف لقياس الضغط والحرارة في قيعان الآبار يقوم بها فريق مدرب من الفنيين العرب السعوديين . ولدى أرامكو آبار خاصة لهذه الغاية محفورة في أماكن مناسبة ، بحيث يمكن بواسطتها قياس الضغط داخل المكامن دون الاضطرار الى ايقاف بعض الآبار المنتجة عن الانتاج . ومن خلال المعلومات التي يجمعها هذا الفريق ، يستطيع رجال الزيت الحصول على دلالات مبدئية على حالة المكامن تساعدهم في وضع البرامج الفنية الرامية الى تطوير هذه المكامن والمحافظة على مستوى انتاجها .

لقد بدأ مهندسو مكامن الزيت الآن يأخذون بعين الاعتبار أمورا عديدة قبل أن يقدموا على أية خطوة تطويرية ، كما أصبحوا يستعينون بالآلات الحاسبة الألكترونية في الوصول الى تحليلات دقيقة لمعالم الحقول العامة حاضرا ومستقبلا معتمدين في ذلك على المعلومات التي تردهم من فرق فحص الضغط والحرارة في قيعان الآبار ، ومن رجال المختبر عن نوعية الزيت الموجود في الحقل ، ومدى مسامية الصخور الجوفية ونفاذيتها .

ومن هنا نستطيع أن ندرك جسامة الأعباء الملقاة على عاتق مهندسي مكامن الزيت ، اذ يتوقف على دراساتهم وأبحاثهم تطور حقول الزيت ورفع طاقاتها الانتاجية ■

ع . ج

شعر حسان الاسلامي

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

شعر حسان بن ثابت الاسلامي ظاهرة فذة في تاريخ الأدب العربي ، فهو يكاد يكون تاريخا تاما لحقبة مهمة في تاريخ الانسانية استطاع أن يمثلها وتفيض فيه ألوانا متناسقة وصورا مفعمة بالحيوية والقوة .

يقول أرسطو « **ان الشعر أصدق من التاريخ** » . ويقول النقد الحديث « **ان الشاعر مؤرخ من الدرجة الثانية** » . والحق أن حسان بن ثابت هو مؤرخ تلك الفترة الاسلامية المشرقة وقد مثلها في شعره وجعل أحداثها تخفق فيه . كان حسان شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، والمنافح عن دعوة الله ، والمهاجم الذرب اللسان الذي ينقض على أعداء الاسلام بعارضة قوية ، ويدفعهم بحجج ناصعة ، كما كان يعرض روعة الاسلام ، وجلال تعاليمه التي تحمل الخير والحب والرحمة والانسانية ، لتشمل الناس على اختلاف ألوانهم وأمكنتهم وأزمنتهم .

وروعة شعر حسان الاسلامي راجعة الى ايمان الشاعر العميق بالاسلام ، فقد امتلأت روحه بهذا الدين الحنيف ، وفاضت في حناياه عقيدة صافية ، اندفع معها بكل ما أوتي من مشاعر وحب . ان الأدب العالمي في مختلف الأمم لم يسجل شعرا دينيا يسمق الى مرتبة رفيعة من الجودة . ويعلل الناقد « ت. س. اليوت » هذه الظاهرة بقوله « ان مرد اخفاق الشعراء في شعرهم الديني يعود الى نفاقهم . » ولهذا نرى أن حسان بن ثابت يكاد ينفرد عن غيره في هذا المجال ، فقد غنّى روائع الدين الاسلامي ، وحكى تاريخا يفيض بالحياة يحدوه اليه ايمان عميق بعظمة الاسلام ، ونور النبوة . فلا غرو اذا خفقت في ديوانه صورة متناسقة لهذا العصر المشرق .

لقد انبرى حسان لشعراء قريش يدفع أذاهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بايمان قوي ، ورصيده الانتصارات الخالدة التي كان المسلمون يحرزونها بجهادهم المستميت في سبيل اعلاء كلمة الحق . ولم يكن يهمه مديحهم للرسول عليه السلام أو هجوهم له ، فكلاهما سيان عنده :

فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فان أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

ولم يقتصر شعر حسان على هجو شعراء قريش ، ودفع كيدهم ، بل كان مفتح العينين والجوارح لكل حادثة في هذه الحقبة التاريخية الهامة ، فهو يتحدث عن الغزوات ، والوقائع ، والقتلى ، وشهداء المسلمين ، وكأنه مؤرخ يرصد الأحداث ليدونها . ومن الطبيعي ان الشعر في وصفه للأحداث يختلف عن التاريخ . فالمفروض في المؤرخ الجيد أن يصف الوقائع موضوعيا ، اما الشاعر فلا يستطيع أن يتجرد من ذاتيته . فيكسب انفعالاته في شعره ، ولهذا كان الشعر أوفر حياة من التاريخ في هذه الناحية .

يقول حسان في يوم بدر :

تذكرت عصرا قد مضى فتفتت
بنات الحشا وانهل مني المدامع
صبابة وجد ذكرتني أحبة
وقتلى مضوا فيهم نفيع ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت
منازلهم والأرض منهم بلاقع

الى أن يقول :

وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم
ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم
مطيع له في كل امر وسامع
فما بدلوا حتى توافوا جماعة
ولا يقطع الآجال الا المصارع

لأنهم يرجون منه شفاعة
اذا لم يكن الا النبيين شافع

وهكذا كان حسان مرآة تنعكس عليها آمال المسلمين وهمومهم ، فاذا تساقط الشهداء في سبيل اعلاء كلمة الله كان يبكيهم بشجو فاجع ، وزفرات والهة . وها هو يرثي سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فيقول :

أظلمت الأرض لفقدانه
واسود نور القمر الناحل
صلى عليك الله في جنة
عالية مكرمة الداخل

ويمضي على هذه النغمة الآسية ، ويصور المأساة ، فيهاجم هندا امرأة أبي سفيان ، ويذكرها بمصرع أبيها وعمها :

لا تفرحي يا هند واستحلبي
دمعا وأذري عبرة الثاكل
وابكي على عتبة اذ قطعه
بالسيف تحت الرهج الجائل
اذ خر في مشيخة منكم
من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أسره
يمشون تحت الحلق الذائل

ولم يقتصر شعر حسان الاسلامي على الحقبة التي كان ينصرها النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن قبض الرسول الكريم الى الرفيق الأعلى ظل حسان يتابع الأحداث الاسلامية ويؤرخ لها ، فبكى الرسول عليه السلام ورثاه مرارا عديدة ، بقصائد تجسم جزع المسلمين لذلك الفراغ الذي خلفه انقطاع رسالة السماء ، بعد ان كانت تزهو بها نفوسهم ، وتحن اليها أرواحهم. وكلما ومضت ذكرى الرسول الكريم في نفسه انطلق في هذا الرثاء الصادق الحزين . يقول :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت
عيون ومثلاها من العين تسعد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وحسان كان مؤمنا ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من سمو وعمق ، فلا غرو اذا جاء شعره الاسلامي طرازا خاصا فريدا في بابه ، لا نجد له ضريبا في تمثيله للحياة الاسلامية في يقظتها الأولى . ويضفي الصدق على الشعر لونا أخاذا من الجمال الفني ، فهو عندما يرسم صورة لموضوع اسلامي يأتي وامضا بالحياة ينبض فيه الاحساس الصادق ، فيجعله لصيقا بالنفس ، محببا اليها ، لائطا بها مثل قوله يمدح الرسول الكريم صلوات الله عليه ، ويرسم صورة لخلاله العظيمة ، والهدى الذي حمله ليغمر الدنيا بنور السماء :

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الاسلام فالله نحمد

وعاش حسان طويلا وكف بصره ، ورأى الأحداث الكثيرة في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وشارك ببعضها ، فرثى الخلفاء أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بحرقة ووله ، وندد بقتلة عثمان رضي الله عنه بنغمة تفيض بالسخط على هذه الفعلة البشعة القاسية . يقول :

أتركتم غزو الدروب وجئتم
لقتال قوم عند قبر محمد
فلبئس هدي الصالحين هديتم
ولبئس فعل الجاهل المتعمد

هذه هي الخطوط العريضة لشعر حسان الاسلامي ، حتى أننا نستطيع بسهولة أن نقرأ فيه الملامح المهمة في هذه الحقبة التاريخية البارزة من تاريخ العالم ، ولا بد لنا أن نناقش آراء الأقدمين في قيمة شعر حسان الاسلامي . قال الأصمعي : « شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع متنه الاسلام . » وزعموا انه قيل لحسان « لان شعرك أو هرم في الاسلام يا أبا الحسام . » فأجاب : « يا بني أخي ان الاسلام يحجز عني الكذب ويمنعه، وان الشعر يزينه.» وقال بعض النقاد « ان شعر حسان ضعف في الاسلام ، لأن الشعر اذا دخل باب الخير لان . » ولا مشاحة ان هذا الكلام بحاجة الى مناقشة فالاصمعي يقول ان شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . والواقع ان هذا الرأي لم يصب كبد الحقيقة ، فشعر حسان الجاهلي أو قسم منه بين أيدينا ، ولسنا نراه من أجود الشعر ، فحسان لم يرق بشعره الجاهلي الى مرتبة الفحول . فهو من الشعر المتوسط الذي لا نستطيع أن نقارنه بشعر امرىء القيس والأعشى ، وزهير ، والنابغة ، وأضرابهم من فحول الشعر الجاهلي . ومعاصرو حسان أدركوا هذه الحقيقة وعرفوها ووعوها .

قال حسان : قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول اليه ، فقلت للحاجب بعد طول انتظار : « ان أذنت لي عليه والا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم » ، فأذن لي ، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة ، وهو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة ، وهو جالس عن يساره . فقال لي : يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان ، فارجع ، فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا أحتاج الى الشعر ، فاني أخاف عليك هذين السيفين ، النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي . وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب

فأبيت ، وقلت لا بد منه . فقال ذاك على عميك . فقلت لهما : بحق الملك الا قدمتماني عليكما .. فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو ابن الحارث :

«هات يا بن الفريعة ، فأنشدته .. »

وقد كانت قصيدة حسان تلك من عيون شعره ، بيد أن هذه الرواية تدل على أن الملك الغساني نفسه كان يعلم ان حسان بن ثابت لا يسمو الى مرتبة النابغة وعلقمة الفحل ، وخشي أن يظهر وهن شعره ، وفي هذا معرة على الملك لأنه ينتمي الى اليمن ، كحسان . فشعر حسان الجاهلي لا يرقى الى دنيا الشعر الرائعة التي نضرها أولئك الشعراء الأفذاذ .

اما ان الاسلام قطع متن شعر حسان وأضعفه ، كما زعم الأصمعي ، فهذا يحتاج أيضا الى مناقشة ، فشعر حسان يخلو من الألفاظ البدوية الجزلة ، والتعابير البعيدة الاغراب . ونحن

نرى مع الأصمعي أن ألفاظ حسان في وتعابيره الجاهلية أشد اسرا وجزالة من شعره الاسلامي ، غير أن شعره الاسلامي من الوجهة الانسانية والروحية وما يحويه من مشاعر ونزعات نفسية يسمو بكثير على شعره الجاهلي . وخلود حسان كشاعر راجع الى شعره الاسلامي ، ولولاه لما وصل الى هذه المرتبة التي تفرد بها في الأدب العربي ، لأنه استطاع بشعره الاسلامي أن يمثل نزعات عصره خير تمثيل ، فشعره تصوير لهذا العصر بكل ما يضطرب فيه من ألوان ، وكأنه يترصد الحياة اليومية وما تفيض به من شتى الشئون ، ليذيعها في شعره ، ويرسم لها صورة متناسقة بكل معالمها وشياتها بحيث تحتدم فيها الحياة ، وتنبض فيها شتى العواطف صادقة حارة متدفقة .

اننا لا ننكر أن شعر حسان الاسلامي قد رق ولان أسلوبه ، وهذا راجع الى جملة أسباب ، فحسان أشربت روحه الاسلام ، وحفظ القرآن الكريم ، وتأثر بألفاظه المليئة بالنور والصفاء . وكان يعي فصاحة النبي صلوات الله عليه التي تترقرق فيها الحلاوة والنداوة ، والبعيدة عن كل اغراب وتقعر جاهلي ، فالرسول الكريم أفصح العرب . ثم ان معظم شعر حسان كان مرتجلا ، فهو شاعر الدعوة الاسلامية التي كانت تتعرض للأحداث التي لا تنتهي . وكان عليه أن يهتف بهذه الأحداث في شعره ، منافحا عن الاسلام ، رادا كيد الشعراء المشركين . وهو يصور جميع الغزوات ، ويرثي شهداء المسلمين . ويرتجل الأشعار أمام وفود العرب التي كانت تفد على الرسول الكريم ، ومعها شعراؤها ، ورغم هذه السرعة في قول الشعر كان شعره حيا صادق اللهجة تسري فيه الحياة .

وأكبر الظن أن الرواية المنسوبة الى حسان التي قال فيها أن الشعر يزينه الكذب منحولة ، فهو القائل في الجاهلية :

وان أحسن بيت أنت قائلـــه
بيت يقال اذا أنشدتـه صدقا

وكأن الرواة شعروا بنحل هذه الرواية ، وبعدها عن جو حسان ومناخه الشعري ، ففسروا الكذب بالمغالاة .

ومهما يكن من شيء فشعر حسان الاسلامي دنيا من الشعر الحي الذي مثّل أزهى فترة تاريخية مرّت في تاريخ الانسانية ، وهتف بالامجاد الاسلامية الخيرة . كما انه استطاع بايمانه العميق أن يسمو بشعره الى مرتبة رفيعة تمتاز بالصدق والحب والاخلاص ■



وفود الأحنف على معاوية

قيل : قدم وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : ان أمير المؤمنين يعزم عليكم الا يتكلم أحد الا لنفسه . فلما وصلوا اليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت ، ونابتة نبتت ، كلهم به حاجة الى معروف أمير المؤمنين وبرّه .

فقال معاوية : حسبك يا أبا بحر ، فقد كفيت الغائب والشاهد .

اثر الشيخوخة

قال أبو عبيدة : قيل لشيخ مرة : ما بقي منك ؟ قال : يسبقني مَن بين يدي ، ويلحقني من خلفي ، وأنسى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس في الملا ، وأسهر في الخلا ، واذا قمت قربت الأرض مني ، واذا قعدت تباعدت عني .

علي بن ابي طالب يصف الدنيا

ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقال له علي :

الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحي الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه . ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة . فمن ذا الذي يذمها وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيبا وترهيبا ؟ فيأيها الذام للدنيا ، المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا ، أم متى استذمت اليك ؟ أبمصارع آبائك في البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك في الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وكم عللت بكفيك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يغني عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك ، ولا تنجيه شفقتك ، ولا تشفع فيه طلبتك .





فجعت الأوساط الأدبية في بيروت في أوائل أغسطس المنصرم بالشاعر الكبير بشارة الخوري الأخطل الصغير أمير شعراء العصر وشاعر الهوى والشباب فقدت الأمة العربية بغيابه شاعرا فذا حدا قافلة الشعر فيها لفترة تزيد على نصف قرن بقصائد هي نسيج وحدها في تراثنا الشعري الحافل .

أنا في شمال الحب قلب خافق
وعـلى يمين الحق طـير شاد
غنيت للشرق الجريح وفي يـدي
ما فـي سماء الشرق من أمجاد

بهذين البيتين صدّر شاعر لبـنـان بشارة عبد الله الخوري « الأخطل الصغير » ديوانـه « الهوى والشباب » الذي صدر في بيروت في سنة ١٩٦١ .

وبشاره الخوري هو صاحب قصائد الهوى والشباب والصبا والجمال . لقد غنى النـاس بكلماته ، وكانت قصائده دائما وما زالت حديث الدنيا وشدو المغنين ، وكان شعره دائما وما زال للحب والحياة .

بدأ الأخطل حياته منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن ، فقد تتلمذ على يد شبلي الملاط ، ويوسف كامل ، الأديب في القرية . وفي التاسعة عشرة من عمره أصدر جريدة « البرق » ، وعلى صفحاتها غنى الزهاوي ، وأبو شبكة ، ومطران ، والرصافي ، وشوقي ، وأمين الريحاني .

ولد بشارة الخوري عام ١٨٩٠ في بيروت من أب طبيب يدعى عبد الله الخوري ، وبعد أن تعلم القراءة في مدرسة حي الرميلة ، التحق بالمدرسة الأرثوذكسية سنة ١٩٠٢ . وكان معلماه في اللغة الفرنسية شبلي الملاط ويوسف نخلـة ثابت ، وفي العربية يوسف كامل وجرجس همام .

وفي عام ١٩٠٤ ، التحق بمدرسة الحكمة . وبعد سنتين من التحصيل بدأت براعم الشعر تتفتح في مخيلته ، وشرع في النظم . وليتضلع في اللغة الفرنسية ، غادر مدرسة الحكمة والتحق بمدرسة « الفرير » حيث التقى في صفه بالأمير عادل أرسلان .

واتجه بعد ذلك الى العمل في حقل الصحافة وأنشأ في بيروت جريدة « البرق » في شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٨ . وأصبحت مكاتب الجريدة ملتقى رواد الأدب وكبار كتاب العربية . وجاءت الحرب العالمية الأولى فاحتجبت « البرق » . وبانتهاء الحرب عادت الى الصدور .

وفي عام ١٩٢٧ انتخب بشارة الخوري نقيبا

للصحافة اللبنانية ، وكذلك انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٣٢ . وقبل وفاته كان يعد عميد الصحافة اللبنانية ، اذ أنه كان أكبر النقباء الأحياء سنا . وعندما اضطهدت الصحافة ولاقت شر الأمرين ، وقف بشارة الخوري في وجه المضطهدين مدافعا ومحذرا .

ويعتبر الأخطل الصغير ، في هذا العصر ، شاعرا من الرعيل الكبير ، قرض الشعر فأبدع . فكانت له قصائد ، منها الغزلية المعطرة التي تضج بمختلف ألوان الحب المنشود ، والتي تطرب لها الأذن وتصفق لها اليد ويختلج بها الفؤاد . ومن آخر قصائده الغزلية هذه التي اختار لها عنوانا « كبرياء الحسن » ، ولم تنشر بعد . يقول فيها :

لبس الكبرياء والحسن بردا
وانبرى يلفح الهوى ، واستبدّا
فابسطي يا سماء كفك عمدا
واجعلي حوله الملائك جندا
ومري القفر أن يفيض عيونا
تفرش الطرق ياسمينا ووردا
ايه ريحانة الرياحين فيضي
مرحا ، واملأي الجوانح وجدا
امسحي جبهة الظلام تفض نورا
ومري على الصخور فتندى
حملت كل روضة أجمل الزهر
وصاغت منها لجيدك عقدا
واغتدي كل جدول يتمنّى
وانبرى كل بلبل يتصدّى
عرس للرياض ، للطير ، للأنهار
لم يبق للمباهج مجدا
قطّعت شعرها الكواكب كي
تنسج بردا وكي تلازم خدّا
وانحنت كل نخلة كجناح ،
أخضر الريش ، ودّ لو كان زندا

ولبشارة الخوري كثير من القصائد الوطنية التي تجعل القارىء أو المستمع اليها يعترف بحب الشاعر للقرية المتواضعة الجالسة بأمان على كتف الوادي ، وبتعلقه الشديد ببلده . كما يتجلّى في قصيدته « لبنان » التي يقول فيها :

لبنان كم للحسن فيك قصيدة
نثرت مباسمها عليها الأنجم
كيف التفت فجدول متأوّه
تحت الغصون وربوة تتبسم
أكماته البيضاء تحت سمائه
الزرقاء أطفال تنام وتحلم
تتصاعد القبلات من أنفاسه
وتمرّ بالوادي الوديع وتلثم

واذا ما عشت لحظات مع صفحات ديوان بشارة الخوري « الهوى والشباب » وجدت أمامك الجملة الشاعرية نقية واضحة قوية المعنى سهلة الأخذ ندية بأشواق وصبابات ، ومفعمة بأوصاف ونعوت لا يقدر عليها الا من كان في حساسية صاحبها ورقته وعزة نفسه . تقرأ مثلا قصيدته الى « امرأة » ومطلعها :

ماذا ؟ أحقا كنت بي تهزئين
وكنت في حبك لي تكذبين
لم تخدعيني مطلقا انما
نفسك يا هذي التي تخدعين
منعت حبي عنك لكنما
منحت عفوي شيمة الأكرمين

وعندما زار الأخطل الصغير منذ سنوات مدينة حلب تلبية لدعوة من لجنة أقامت له حفل تكريم ، قال قصيدته المشهورة « المتنبي والشهباء » . تلك القصيدة التي دفعت الصحف أن تصدر بهذا العنوان الضخم « متنبآن في حلب » ، وفيها يذكر مفاخر المتنبي وأمجاده الشعرية . يقول :

كان حفل التكريم الذي اقامته الحكومة اللبنانية قبل ثلاث سنوات على شرف شاعر الأرز حافلا بأصدقائه
والمعجبين بشعره من مختلف البلدان العربية . ويشير السهم الى الشاعر الراحل .



شهباء ، لو كانت الأحلام كأس طلا
في راحة الفجر كنت الزهر والحببا
أو كان لليل أن يختار حليته
وقد طلعت عليه لأزدرى الشهبا

ثم يقول موجها كلامه الى أبي الطيب :

ايه أخا الوفرة السوداء كم ملك
أعاضك التاج منها ، لو بها اعتصبا
طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة
فشاء ربك أن لا تدرك الطلبا
لولا طماحك ما غنيت قافية
بوأتها الشمس ، أو قلدتها الحقبا

وتتفاعل أحاسيسه مع شاعريته ويفيضان في هذه القصيدة التي نظمها من عهد ليس بالبعيد :

أين من مقلتي الكرى يا ظلام
أنصف الليل والخليون ناموا
مسحت راحة الكرى أعين النا
س فنامت ونام فيها الغرام
وأنا تذكر الضياء عيوني
مثلما يذكر الغصون الحمام
يا نسيم الدجى اللطيف احتملني
لي عهد عند النسيم لزام
كلنا ناحل فأنت براك الله
لكن أنا براني السقام
احتملني ولا تخف بي ملاما
ما على صانع الجميل ملام
احتملني تحمل بقية روح
تركتها لشقوتي الآلام
يا نسيم الدجى الحرير تموج
أطيب الماء ما سقاه الغمام

وفي قصيدة له طويلة أسماها « ١٩١٤ » يصف الشاعر ويلات الحرب وما تخلف وراءها للناس من دمار ومآس :

عصف الفقر بهم ، فانتشروا
كانتشار الوابىء المستفحل
يلهمون العشب من جوعهم
ويحهم ما تركوا للهمل ؟
بجسوم هزل ، تحملها
بعياء واهيات الأرجل
ووجوه ، كتب الموت على
صفحتيها : هذه الأوجه لي

ذاك حق ..

وكما غيب الموت وجوها ووجوها ، غيب وجه الشاعر الكبير ، الا أن فيما خلفه الأخطل الصغير بيننا من غرر كأنها الدرر ، عزاء أي عزاء ، وتعويضا أي تعويض ■



الشاعر الراحل بشارة الخوري ، شاعر الهوى والشباب ، وهو يلقي احدى وجدانياته .

اهداء

حظيت مكتبة القافلة بنسخة من العدد الاول من مجلة « الجامعة الاسلامية » الغراء التي تصدرها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . وهي مجلة شهرية حافلة تعنى بخصائص الثقافة الاسلامية وتاريخها ومستقبلها . وبظهورها ملأت فراغاً كبيرا ظل شاغرا لسنوات ...

ويشرف على اخراج هذه المجلة واعدادها وادارتها لجنة مكونة من الأمين العام للجامعة الاسلامية ، وثلاثة من كبار مدرسيها .

والقافلة اذ تشكر الجامعة الاسلامية على هديتها القيمة تتمنى للمجلة التطور والازدهار ، وللقائمين عليها التوفيق الى الغاية المتوخاة .



أين أنتِ ؟

للشاعر مصطفى عبد الرحمن

غابت الفرحــة عني منــذ غبت أين أنت اليوم مني ، أيــن أنت ؟

آه مــن لهفــة روحــي واشتيــاقــي
ولهيــب ترتــوي منــه المــآقــي
طــال بــي شوقــي لأيــام التلاقــي
فمــتى تــرحمــني ممــا ألاقــي

وأرى الدنيــا عــلى نورك أنت فلقد غاب ضياهــا منــذ غبت !

آه مــن ليلي اذا مــا الليل أمسى
وسقــانــي مــره كــأســا فكــأسا
وفــؤاد كلــمــا أمّــل ينسى
وجــد الظــن الى النسيــان يــأسا

آه مــن ظلمك مــن ظلمك أنت غابت الفرحــة عني ، منذ غبت !

لا رأت عيــناك يومــا مــا أقــاسي
لا ولا عانيــت يــا هاجــر يــاسي
أيــن مــن يأسو جراحــي ويــواسي
مــوجعــا ليس لــه غــيرك آســي

أنــا أدعوك بقلبي ، هــل سمعت ؟ أين أنــت اليوم مني أيــن أنــت ؟

هــذه الــدنيــا مــلأنــاهــا حنانــا
ورعيــنا الحــب فيــها ورعــانــا
لــم تكــن الا ربيعــا لهــوانــا
أيــن دنيــانــا وأحــلام صبــانــا

قــد صبا قلبي الى دنيــاك أنــت فأعــد لي مــن صفائــي ما سلبت !

عــد لدنيــا النــور فــي ظل ظليل
وارو لي فــي فرحــة العمــر غليــلي
أنــا ظمــآن لعــذب سلسبيــل
أنــا حــيران فكــن أنــت دليــلي

أنــا لهفــان الى لقيــاك أنــت أيهــا الغائــب عني لــم غبــت ؟

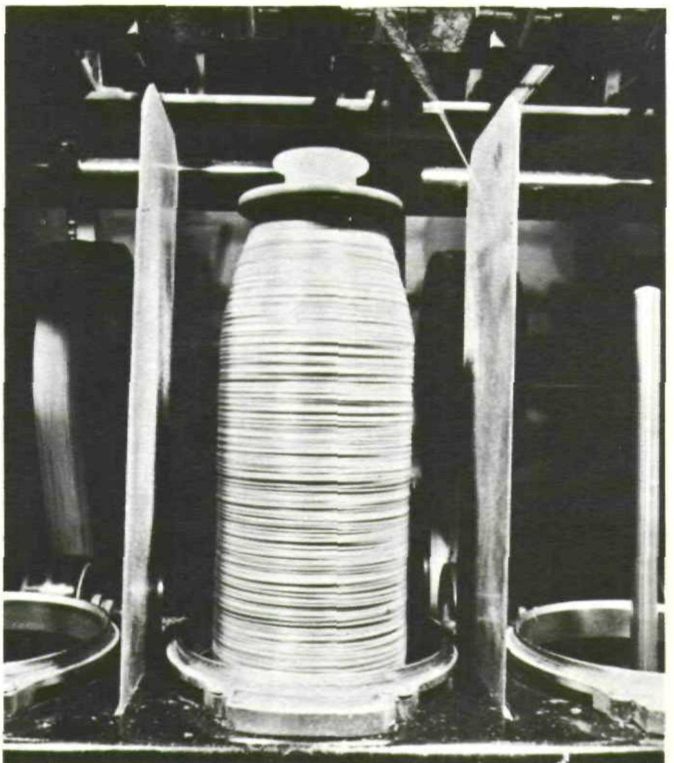




من نوع جديد

كان السجاد حتى وقت قريب لا يستعمل إلا داخل المباني .. ثم دخل في صناعته مادة "البوليلوم" وهي مادة بتروكيماوية حديثة الاكتشاف فشاع استعماله خارج المباني لما أصبح يتمتع به من قدرة على الاحتفاظ بشكله ومقاومته إزاء التقلبات المناخية.

نماذج مختلفة لأنواع السجاد المصنوع من نسيج « البوليلوم » والذي يتميز بمتانته ومقاومته للتقلبات الجوية ، وبقابليته للاستعمال الداخلي والخارجي على مدار فصول السنة .





عملية فرز الخيوط وفتلها على شكل جدائل هي أول خطوة في صناعة السجاد المستخلص من « البوليبر وبلين » .

عرف الانسان السجاد منذ القدم . فقد استخدمه في أغراض شتى منها تزيين البيوت وتجميلها حتى غدا بالنسبة اليه ضرورة من ضرورات البيت . وهو يوجد على أنواع عديدة وأشكال مختلفة تضفي على البيت جمالا ورونقا ، وتبعث في أركانه الدفء والانسجام .

والمعروف أن الانسان البدائي استعمل جلود الحيوان للغاية نفسها ، ومع تطور الزمن عرف طريقة النسج فحاك باليد من صوف الحيوان وشعره منتوجات استعاض بها عن الجلود . ومن هنا كانت جلود الحيوان والمنسوجات من الوسائل البدائية التي استخدمها الانسان في أغراض الدفء والتجميل داخل البيت .

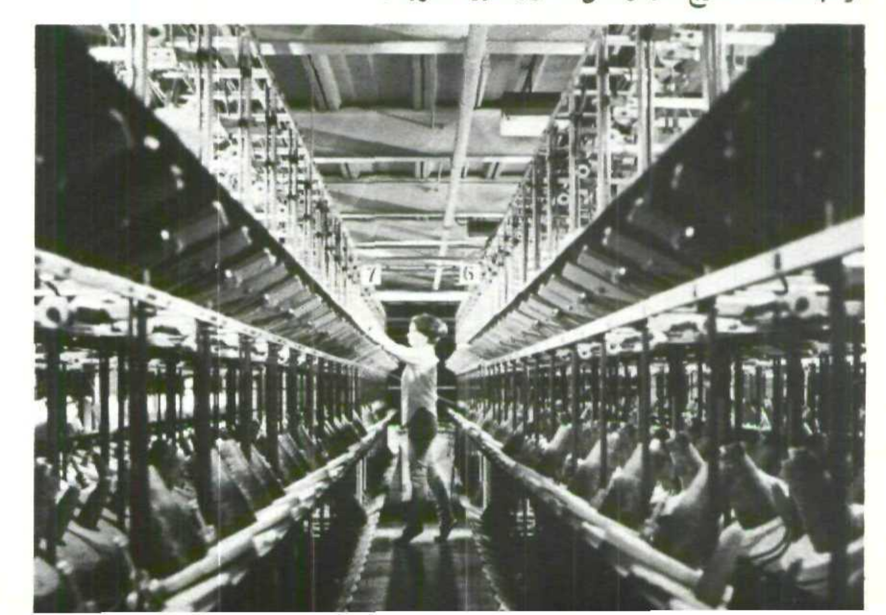
ظهرت صناعة السجاد أول ما ظهرت في بادىء الأمر ، في قارة آسيا ، ثم انتقلت بعد ذلك الى أوربا عقب دخول العرب اسبانيا عام ٧٠٠م . ولعل التبادل التجاري بين الشرق والغرب كان من العوامل الهامة التي ساعدت الى حد كبير على انتقال صناعة السجاد من قارة الى أخرى . فأدت الى تطويرها بشكل يتلاءم ومقتضيات المدنية الحديثة .

على أن المصادر والمراجع تشير الى أن انجلترا هي أول بلد أوربي شقت صناعة نسج السجاد طريقها اليه ، وذلك عام ١٣٠٠م عندما استدعى الملك « ادوارد » الثالث عددا من الحياكين « الفلمنكيين » للعمل في بلاده . غير أن الفضل في انتشار صناعة السجاد بشكلها الحاضر يعود الى العالم الفرنسي « جوزيف جاكار » مخترع آلة الحياكة .

لقد تعرضت صناعة السجاد ، على مر السنين وتعاقب الأجيال ، لتطورات عديدة في مختلف أنحاء العالم أفضت الى تحسين في المنتوجات نوعا وجودة . والظاهرة الأخيرة التي تجلب النظر بالنسبة لتطور صناعة السجاد هي ظهور صناعة المركبات البتروكيماوية المشتقة من البترول . فمادة « البوليبروبلين » مثلا ، أسهمت بدور فعال في مضمار هذه الصناعة ، اذ أخذت تصنع منها خيوط الغزل التي تدخل في نطاق المراحل الأساسية لصناعة السجاد المستخدم خارج البيوت بوجه خاص . وقد راج استعمال هذا النوع من السجاد على نطاق واسع نظرا لما يتمتع به من صفات جيدة ونوعية عالية ، وهو يصنع على أشكال جميلة مألوفة تلائم مواسم العام وفصوله .

من الأمور الهامة في صناعة السجاد ، ان تكون خيوط النسيج متساوية في أطوالها وأحجامها .

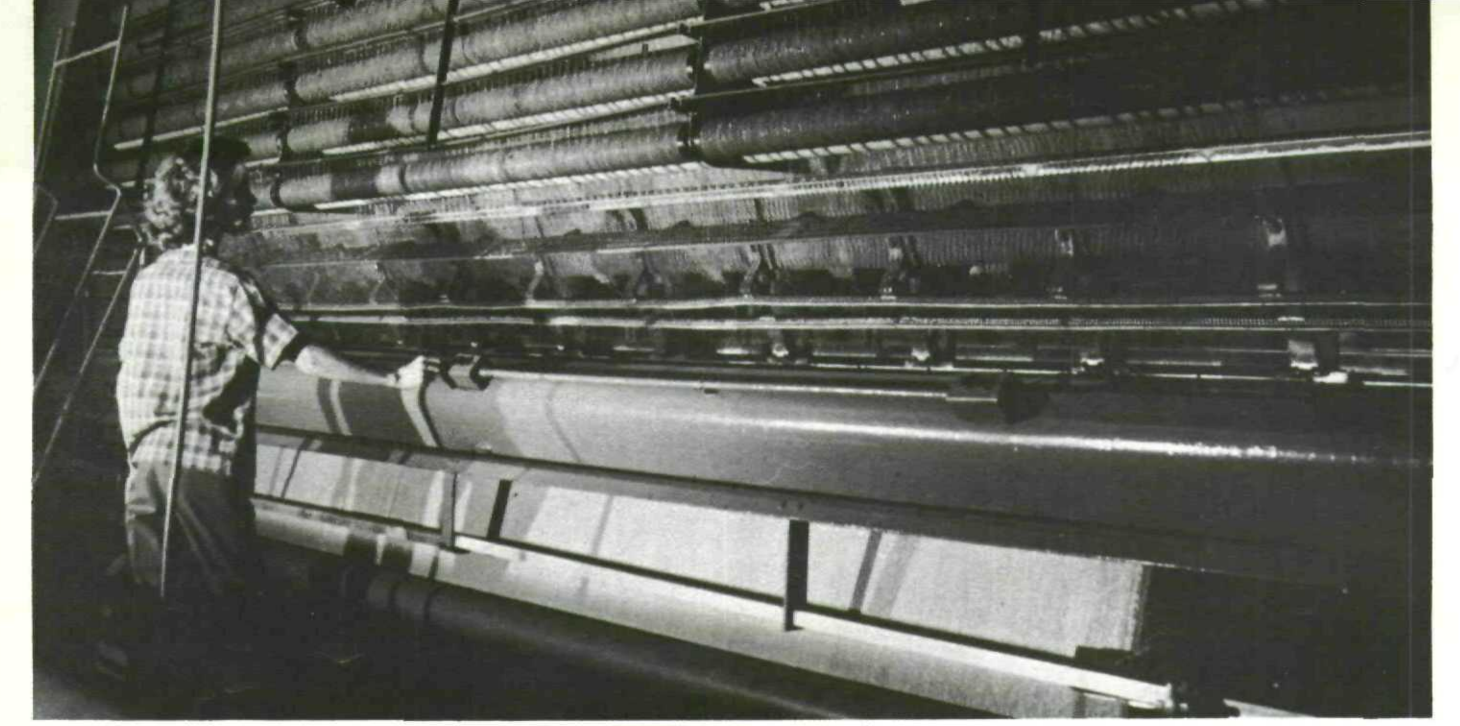
تركب لفائف النسيج المجدولة على محاور تمهيدا لغزلها .



ولما كان « البوليبروبلين » يتميز بخواص يمكن الانتفاع بها في تطوير صناعة السجاد ، وانتاج أنواع عديدة منه تصلح للاستعمال داخل المنازل ، أحس رجال الأبحاث بضرورة ابتكار طريقة لاستغلال هذه المادة في انتاج خيوط زهيدة التكاليف ، تنسج منها أشكال عديدة جذابة من السجاد والطنافس القابلة للاستعمال داخل البيوت وخارجها ، في آن واحد . وقد تم فعلا قبل بضع سنوات على أيدي رجال قسم الأبحاث التابع لشركة « شفرون » التي هي فرع من شركة « ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا » ، احدى الشركات الأربع المالكة لأرامكو ، فأنتجوا من « البوليبروبلين » خيوط غزل جديدة تصنع منها أنواع من السجاد بتكاليف قليلة . وللتأكد من نوعية هذا النسيج ومدى فعاليته اقتصاديا ، قامت الشركة نفسها بتشييد معمل تجريبي داخل مختبرها لانتاج كميات محدودة من هذه الخيوط الناعمة ، غزلت على شكل أطوال متساوية ذات ألوان جذابة ومألوفة .

وقد أدخلت على صناعة السجاد تحسينات كثيرة من بينها انتاج نسيج جديد لحياكة السجاد يعرف باسم «بوليلوم» (Polyloom) وهو عبارة عن قماش منسوج تكسوه طبقة سميكة من الصمغ الاصطناعي . وقد أثبتت التجارب التي أجريت على السجاد المصنوع من هذه المادة انه من أجود الأنواع نوعية ، وأكثرها مقاومة لمختلف الظروف والتقلبات الجوية وقدرة على الاحتفاظ بالشكل والرونق ، بالاضافة الى سهولة غسله ، وسرعة تنظيفه ، وعدم تأثره بالمياه الملحة أو بأي من مواد التنظيف ، الى جانب متانته ، وقوة احتماله سواء استعمل داخل المنزل أو خارجه . وقد ازداد الاقبال على هذا النوع من السجاد بشكل أدى الى رواج استعماله داخل الأبنية العامة ، والمخازن التجارية ، والمكاتب ، والفنادق ، ومرافق الترفيه والاستجمام ، وفي المتنزهات ، وعلى ظهور البواخر ، وفي الأروقة ، والساحات الأمامية لمداخل البيوت الرئيسية ، وحول برك السباحة ، الى غير ذلك من المرافق العامة المألوفة

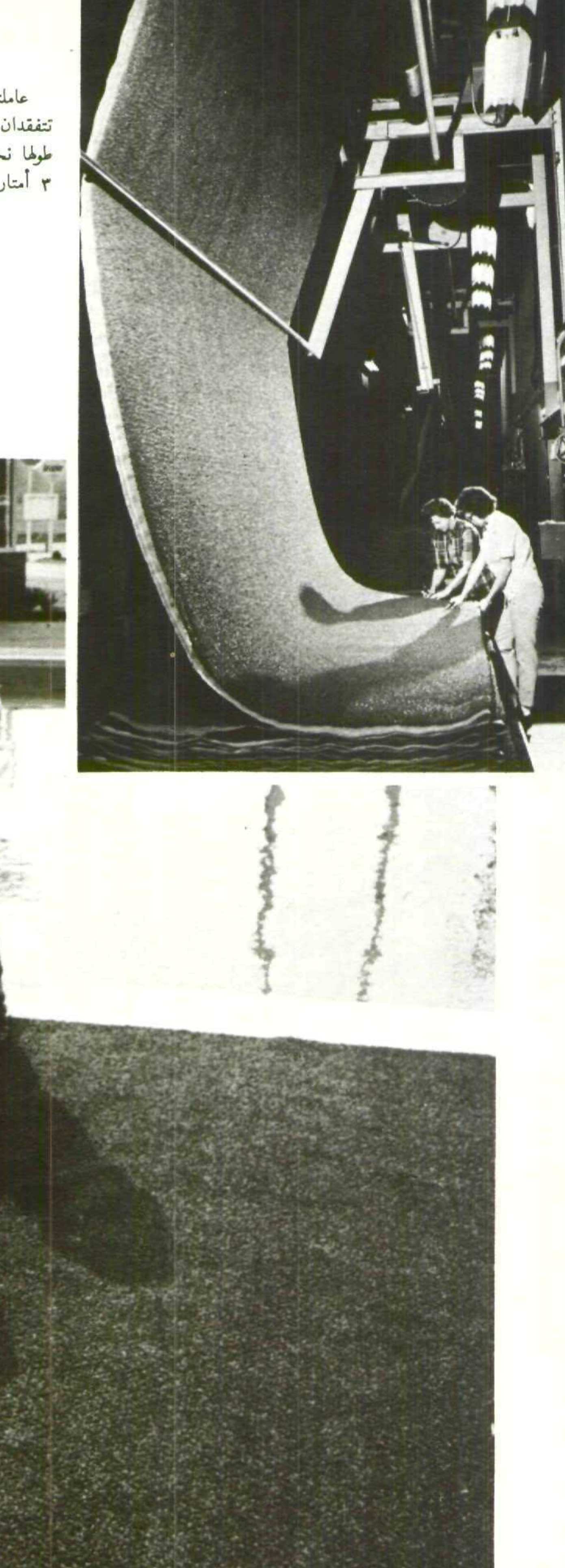
اعداد : علوي شرف هاشم
باذن خاص عن « مجلة بوليتين »



احدى الآلات الخاصة بعمل العروات والعقد الزخرفية التي تكسب السجاد رونقا وجمالا ، وهي تحتوي على مئات الأبر الخاصة بالثقب والتخريم ، وتعمل بسرعة ودقة بالغتين .

اثنان من الفنيين يتفحصان قطعة من السجاد تم انجازها للتأكد من جودة العمل قبل وصولها الى الاسواق.

عاملتان في أحد مصانع السجاد تتفقدان قطعة جاهزة من السجاد يبلغ طولها نحو ٢٠ مترا وعرضها نحو ٣ أمتار ، قبل طيها .



غدا استخدام السجاد المصنوع من مادة «البوليلوم» البتروكيماوية مألوفا في الاماكن العامة ، وتبدو هنا احدى برك السباحة وقد فرش ماحولها بقطعة كبيرة منه .



• في الدراسات الأدبية الجادة أصدر الدكتور بدوي طبانة كتابا بعنوان « النقد الأدبي عند اليونان » ويستخلص الأسس النقدية من آثار أفلاطون وأرسطو وسقراط ، كما يجلو الفكرة اليونانية في النقد الأدبي والبلاغة العربية .
كما صدرت كتب أخرى في الدراسات الأدبية واللغوية منها « المدارس النحوية » للدكتور شوقي ضيف و « الاشتقاق » للدكتور فؤاد ضيا ترزي و « الحكاية الشعبية » للدكتور عبد الحميد يونس و « الدين والفن في أدب ثروت أباظه » للأستاذ مهدي بندق ، وقد صدّر هذا الكتاب الدكتور طه حسين وقدّم له الدكتور شكري محمد عيّاد.
وأصدر الأستاذ زهدي جار الله كتاب « الكتابة الصحيحة » ، وهو ثمرة معاناة شخصية في الكتابة والترجمة في ميادين الصحافة والأدب مما يفيد منه المشتغلون بالكتابة فائدة عملية .

• أصدر العلامة المؤرخ الدكتور عبد الرحمن زكي رسالتين نفيستين ، احداهما باللغة الانكليزية موضوعها « البارود والأسلحة النارية العربية في العصور الوسطى » والأخرى باللغة العربية موضوعها « المراجع العربية للتاريخ الاسلامي في غرب أفريقيا » .

• صدرت طبعة محققة مضبوطة من مخطوطة « جيش التوشيح » من تصنيف الأديب الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان المعروف من أصول هذه المخطوطة ناقصا الى أن وقف على اخراجها وتحقيقها وشرحها والتقديم لها الأستاذ هلال ناجي على نسق علمي فريد . وقد شاركه في بعض هذا العمل الأستاذ محمد ماضور فأعد أصلا من أصليه . وقد طبع الكتاب في تونس طباعة فاخرة ، وألحقت به فهارس دقيقة .
كذلك حقق الأستاذ هلال ناجي كتاب « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » ، وهي رسالة في الخط العربي .
ومن كتب التراث التي أخرجت أخيرا كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » للمؤرخ عثمان ابن عبد الله بن بشر ، وقد حققه الأستاذ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وقدم له معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ و « تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل ابن الربيع » وهو لأبي الفتح عثمان بن جني وقد حققه الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والجزءان الأول والثاني من « نفحة الريحانة » لمحمد أمين المحبي وتحقيق الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو و « جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك » لأبي عبد الله البكري وتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي .
وحقق الأستاذ كوركيس عوّاد كتابين هما « تاريخ واسط » لأسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل و « رسالة في الأحجار الكريمة » من تأليف أبيفانيوس .
وأخرج الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد الجزء الأول من كتاب « شرح ديوان أبي تمام » .
وجمع الأستاذ عبد الله الجبوري ما تناثر من أشعار « أبي الشيص الخزاعي » ونشره محققا مشروحا .

• في الأدب الروائي بأقسامه ظهرت مجموعتان من الأقاصيص ، عنوان احداهما « خالتي كدرجان وقصص أخرى » للأستاذ الكبير أحمد السباعي وعنوان الأخرى « الندبة الزرقاء » للأديب العراقي الأستاذ يوسف يعقوب حداد . وظهرت مسرحيتان طويلتان هما « حياة الحياة » للأستاذ ثروت أباظه و « ثم جاءوا الى مدينة » لبريستلي وقد ترجمها الأستاذ سعد زهران وراجعها الأستاذ يحي حقي .

• من كتب السير والتراجم ظهرت طائفة ، منها كتاب « الامام الرائد محمد البشير الابراهيمي » للأستاذ محمد الطاهر فَضلاء وقد جمع فيه كثير مما قيل في هذا العلامة الجزائري الراحل و « الامام السيد مهدي الحيدري » للأستاذ السيد أحمد الحسني و « الامام عبد الحميد بن باديس » للدكتور محمود قاسم و « ابن المقفع ، مصلح صرعه الظلم » للأستاذ أحمد علبي و « أسامة ابن منقذ » للدكتور أحمد كمال زكي و « طاغور ، مسرح وشعر » للأستاذ حنا قمير و « عشرة اقتصاديين عظام » لشومبيتر وترجمة الدكتور راشد البراوي و « لورنس في البلاد العربية » لرتشارد ألدنجتون وترجمة الأستاذ محمود عزت موسى ومراجعة الدكتور محمد أنيس . كما ظهرت طبعة جديدة من كتاب « الشيخ الرئيس ابن سينا » للأديب الراحل الأستاذ عباس محمود العقاد .

• كتابان جديدان يتناولان موضوع السياحة صدرا أخيرا هما الجزء الأول من « المنهج العلمي في صناعة السياحة » وهو يتناول النظرية العامة للسياحة وقد ألفه الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب و « العلاقات العامة والسياحة » للأستاذ محمد حسين با زرعة .

• من الأبحاث الدينية التي طبعت أخيرا « أصول الاستنباط » للأستاذ علي نقي الحيدري و « علوم الحديث للدكتور محمد أبي شهبة والجزء الأول من « التفسير الكاشف » للشيخ محمد جواد مغنية و « مرآة المرشدين في طرق الوعظ والخطابة » للأستاذ علي رفاعي محمد و « المرشد للاقتباس من القرآن الكريم » للأستاذ محمد أحمد مرجان . كما ظهرت طبعة جديدة في أربعة أجزاء من « تفسير النسفي » للامام النسفي وفي ثلاثة أجزاء من « الاحكام في أصول الأحكام » للامام الآمدي .

• وفي علم الاجتماع صدر كتابان عنوان أولهما « من مقدمة ابن خلدون » وفيه نصوص قام بجمعها وترتيبها الدكتور ألبير نصري نادر وعنوان ثانيهما « تطور حقوق الانسان » وهو رسالة وضعها الأديب الأردني الأستاذ روكس بن زائد العزيزي وقدم لها الأستاذ نزار الزين صاحب مجلة « العرفان » .

• « حديث المفتي » عنوان كتاب يشتمل على مقالات وخواطر اجتماعية شتى من قلم الأستاذ أحمد بن سودة ، وقد تولى جمعها والتقديم لها الأستاذ حسن أحمد المصمودي ■

الأسدُ الهاربْ

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

هي مدينة صغيرة ليست من المدن المشهورة المعروفة ، وان كانت عاصمة من عواصم الاقليم . وقد اعتاد الناس أن يهرعوا اليها من القرى والمدن ، التي تصغرها والتي تنتشر حولها ، مرة أو مرات في الأسبوع ، اما لحضور سوقها الكبيرة يبيعون ويشترون ، واما للالمام بوسائل الترفيه فيها ، كمسرحها الوحيد ، أو مقاهيها المتناثرة على شاطيء النهر ، الذي يشقها من أولها حتى يودعها في نهايتها الى حيث يمضي في مجراه ، أو حديقة حيوان صغيرة حديثة العهد ، لا تضم بين أقفاصها غير أنواع قليلة معروفة من الحيوانات والطيور كالأسود والفهود والنمور والقردة والغزلان والزرافات والنعام .

وفيما عدا ذلك ، فليس هناك من شيء يميز هذه المدينة الصغيرة الا ذلك الحادث الذي حدث بها ذات يوم ، فرجها رجا ، وجعلها حديث أهلها وأهل غيرها من البلدان زمنا غير قصير ، وهو حادث غريب قلما يقع في بلد من البلدان ، وقلما يرد مثل ذكره على لسان ، الا أن يكون في القصص والروايات .

قال حارس الأسود في حديقة الحيوان انه كان يدخل لها بطعامها كالمعتاد من باب القفص الخلفي ، والأسود هناك في الناحية الأخرى ، يفصل بينها وبين الجانب الآخر من القفص حاجز له باب ، لا يذكر الحارس اذا كان وقتها مغلقا أو مفتوحا ، فهو لا يتأكد منه ، ولا يعبأ به ، فلم يحدث قط ان غيرت الأسود من عادتها فأقبلت الى الطعام من غير دعوتها اليه بأسمائها واحدا واحدا : عنتر ، وهمام ، وحسام ، وعجيب ، وغريب . ولكن في هذا اليوم حدث شيء لم يكن ليخطر على بال الحارس ولا على بال أحد سواه ، فقد قفز عنتر قفزة سريعة من فوق رأسه ، واذا به في لمح البصر أصبح خارج القفص ، وتحرر من أسره .

وأفاق الحارس من ذهوله لا يدري ان كان ما حدث قد حدث حقا ، أم هو كابوس مخيف قد تراءى له بغتة . ولم يستطع أن يصدق عينيه ، فهو يعود الى الأسود يعدها واحدا واحدا ، وينادي عليها بأسمائها اسما اسما ، حتى لم يعد لديه أدنى شك في أن عنتر قد هرب من القفص . وأسرع بابلاغ الحادث الرهيب الى مدير الحديقة ، وأسرع المدير بابلاغه الى الشرطة . واستحالت الحديقة الى ثكنة عسكرية ، وأخذ رجال الشرطة يجلون الناس عنها ، ليقوموا بالبحث عن الأسد الهارب في جنباتها ، ولكن كان ذلك كله دون جدوى ، فكأنما انشقت الأرض ، وابتلعته ابتلاعا . وانتقلوا من الحديقة الى شوارع المدينة ، مدججين بأسلحتهم ، يكادون يملأون كل ناحية من نواحيها ، فهم يقفون على نواصي الشوارع ، وعلى باب كل مصلحة أو ادارة فيها .

وأصاب الناس الرعب ، فهم لا يسيرون الا جماعات جماعات ، تحمي بعضها بعضا .. ولكن الأسد لم يظهر .

ومضى يوم واثنان وثلاثة حتى بلغت عدة الأيام ستة ، وبدأ الناس يرتابون في صحة الواقعة برمتها ، وبدأ الشك يساور رجال الشرطة في صحة ما بلغوا به ، فهم يعودون الى مدير الحديقة يطلبون اليه التأكد من عدد أسوده ، ولكن مدير الحديقة يؤكد انها نقصت واحدا ، والحارس يؤكد انه قفز من فوق رأسه قفزة مخيفة ، وانه اختفى بعدها ، فلم يظهر له أثر .

وظهر الأسد في اليوم السابع في مدرسة من المدارس الابتدائية على نحو مثير كأنه فصل جديد من فصول رواية تشد العيون ، وتجذب الحواس .

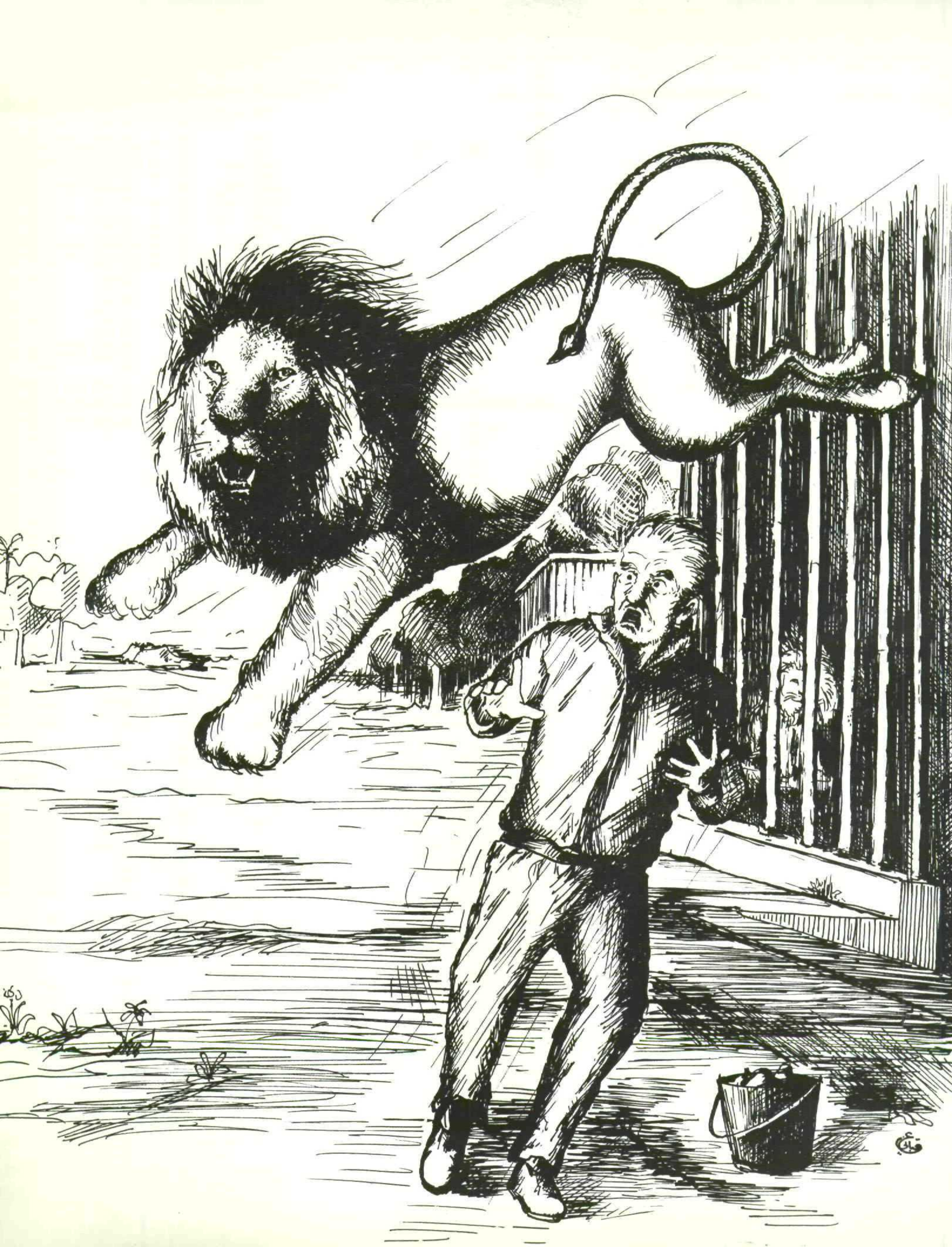
كان التلاميذ الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والعاشرة في فترة الفسحة ، منهم من يلعب بالكرة ، ومنهم من يجري وراء زميل له ، ومنهم من يضحك أو يثرثر ، قد خلا بالهم من كل شيء الا ما هم فيه من فرح ومرح ، وبينهم بضعة مدرسين ومشرفين يراقبون حركاتهم ، أو يتهيأون لفض ما قد يشجر بينهم من نزاع .

وفجأة قفز الأسد من سور المدرسة ، فأحدث بينهم من الهرج والذعر ما لا سبيل الى وصفه . وأسرع البعض يلوذ بالفرار ، وسمر الخوف البعض الآخر ، فأصبحوا كالتماثيل لا تتحرك ولا تريم ، وأطلق من حناجر البعض صرخات فزع ، وأصوات مختلفة مضطربة . فان كنت قد رأيت يوما منظر حدأة انقضت من السماء فجأة على أفراخ صغار ، تنقر حبا ، أو ترفرف بأجنحة ، أو تصيح فرحة ، فقد عرفت شيئا مقاربا لذلك الذي حدث مع هؤلاء التلاميذ الصغار .

ومضت لحظة كأنها الدهر طولا ، انتهت بموت تلميذ من تلامذة المدرسة ، ووقوع الأسد صريعا بطلقة رصاص أطلقها جندي أتى على أثر الأصوات المخيفة المنبعثة من حناجر التلاميذ .

كانت تلك هي الحادثة التي هزت المدينة هزا عنيفا ، وأخرجتها من وتيرة حياتها المألوفة المتتابعة ، وأصبحت حديث الناس كلهم لأسابيع متتالية ، فلا تكاد تجد انسانا فيها ، لم يلك وقائعها مرة ومرات ، وربما أضاف اليها الحواشي والتهاويل . وما من أسرة اجتمعت حول مدفأة أو طعام أو في حديث الا وكانت الحادثة محور حديث أفرادها ، فهي حديث الناس جميعا أيا كانوا وأيان وجدوا .

وقال شاهد عيان انه رأى عجبا ! كان يقف في نافذة من نوافذ غرف الدراسة ، يطل منها



على التلاميذ، يتسلى بمرحهم وفرحهم ولهوهم وعبثهم، ثم رأى هذا الأسد ينقض عليهم فجأة، وفرك عينيه بشدة ليتأكد من انه يراه حقيقة. ثم راعه أن الأسد راح يتلفت يمنة ويسرة، ويتفرس بعينيه، كأنه انسان يعقل ويعي، يبحث عن ضالة منشودة لا يبغي سواها. ثم رأى الأسد بعد ذلك يتجه كأنه السهم المنطلق الى تلميذ في ناحية بعيدة في فناء المدرسة، فانقض عليه دون غيره، ووقف بعدها ساكنا، كالمستعد لكل عقاب بعد اقتراف جريمته.

وكان جماعة من الناس يجلسون في أحد المقاهي يخوضون غمار هذا الحديث، كل واحد منهم يأتي بجديد في هذه القصة، أو يعيد مكرورا يسمعه من غيره، الا واحدا منهم جلس صامتا ساكنا لا يتحرك. حتى اذا فرغوا من حديثهم، قال: سأحدثكم بشيء يتصل بهذه الحادثة لم تسمعوه أبدا، ولعلكم ستنكرونه لشدة غرابته، ولكنني واثق كل الثقة من صحته، وحسبي من ذلك دافعا لقوله. واعتدل في جلسته ومضى قائلا:

انكم تتحدثون جميعا عن الأسد، وتفيضون في وصف الحادثة وهولها دون أن يتحدث أحد منكم عن التلميذ الذي راح ضحية لها، ولا عن أهله الذين نكبوا فيه. كان ذلك التلميذ وحيد أبويه، ولم يرزقا به الا على كبر، بعد أن شاب منهما شعر الرأس. وقد عرفتهما معرفة وثيقة، فلم يخف علي شيء من دخائل حياتهما، وقلما كان يمضي يوم لا أشاركهما فيه جلسة العصر نشرب جميعا القهوة ونتجاذب أطراف الحديث.

ولأعد بكم الى ما قبل عشر سنوات حين عرفت رب هذه العائلة.. رجل تجاوز عامه الستين فأصبح متقاعدا، يقضي وقته بين العبادة والقراءة وريادة المقهى بين وقت وآخر، ذو عقيدة راسخة لا تشوبها شائبة من شك أو ارتياب، لم يرزقه الله بالولد، فرضي بما قسم له من حظ، ورضيت كذلك زوجه، التي جاوزت الخمسين من عمرها، بذلك أيضا، وعولا على قضاء حياتيهما في هدوء وامتثال، حتى يحين اجلاهما. ولم يكن يؤنس وحشتهما من أنيس غير امرأة عجوز تزورهما بين الفينة والأخرى، في لسانها طلاقة، وفي نفسها حب للثرثرة وكثرة الكلام.. تخرج الكلمات من فمها يتبع بعضها بعضا، كأنها قد شدت جميعها بخيط واحد، فلا تنفصل كلمة عن كلمة، ولو لالتقاط الأنفاس. وكان الناس من سكان هذه المدينة يحبون فيها أنسها ومرحها، وتبديدها للملل والسأم في كل مكان تحل فيه، حتى لقد أسموها «أنيسة»، سواء عرفوا اسمها الحقيقي أم لم يعرفوه، فأصبحت تعرف به دون غيره من الأسماء.

وسكت المتحدث هنيهة كأنه يستجمع شتات فكره، ثم مضى قائلا: وكنت أجلس معهما ذات يوم أذكره جيدا.. كانت المرأة جالسة أمام مدفأة من نحاس، وفي يدها «ماشة» تحرك بها قطع الفحم، وتخرج من تحت الرماد قطعا ملتهبة تقربها من «كنكة» القهوة الموضوعة على المدفأة. والرجل يمسك بيده مسبحة، ويحرك حباتها بين أصابعه، بعد ادائه فريضة العصر، ويتمتم بفمه كلمات لا تبين. وسمعنا صوت أنيسة، وهي تدخل المنزل. وابتسمت المرأة ابتسامة هادئة تفيض حبا وعطفا وهي تقول:

— ها هي أنيسة قد أقبلت.

ودخلت أنيسة صاخبة مهللة كأنها فرقة بأكملها من المهرجين.. ضحكاتها كأنها رنين كؤوس. واتخذت مجلسها بجانب الزوجين، وهي لا تكف عن الثرثرة وسرد الحكايات.

وبغتة اكتسى وجهها بمسحة جد وكآبة خفيفة، ما لبثت ان زالت عنها، وعادت الى سابق مرحها وثرثرتها، وقالت للزوجين:

لقد رأيت رؤيا البارحة.. ثم توقفت قليلا عن الكلام، ربما لتستبين أثر قولها على وجه الزوجين.

فقالت الزوجة، كأنما تستحثها على الكلام:

— خيرا ان شاء الله.

فقالت:

— رأيت انكما قد رزقتما غلاما.

ولم تأخذ الزوجة كلامها مأخذا جادا، وانما ابتسمت قائلة:

— الله يجازيك يا أنيسة، بعد ما شبنا.

وحرك الزوج حبات مسبحته في يده قائلا:

— ذلك على الله يسير.

وقامت أنيسة بعدها مستأذنة. ولم تكد تقف على عتبة البيت، حتى التفتت اليهما قائلة في صوت جاد، وقد اكتسى وجهها كآبة وجدا، على غير عادتها: ورأيت أيضا أن الغلام يموت في جوف أسد.

وهنا انتبه السامعون، فكأنما قد أفاقوا من غفوة على صوت قرع طبول لها دوي، وهموا بالحديث، ولكن محدثهم رغب اليهم أن يصمتوا حتى يفرغ من كلامه، ففعلوا على مضض، ومضى هو يكمل كلامه قائلا:

ولم يلق الزوجان بالا لكلام أنيسة في أوله أو آخره، واعتبروها نادرة من نوادرها، وان بان على وجههما الاكتئاب للحظة عابرة. ولكن العجيب بعد ذلك أن أنيسة قد اختفت تماما، فلم يعد يسمع لها صوت، ولم تعد ضحكاتها تملأ بيوت المدينة.

ومضت أيام حدث فيها ما أدخل السرور في قلب الزوجين، وجعلهما يعيشان في فرحة غامرة، لا يشغلهما غير نفسيهما، فقد ظهرت بوادر الحمل على الزوجة. وكان ذلك أمرا غاية في الغرابة، لم يستطع الناس الا ان يعجبوا له، ويعتبره بعضهم من الحالات النادرة العجيبة التي لا يجود الزمان بمثلها الا بعد آماد وآماد من السنين. فاذا وضعت الزوجة حملها، كانت الفرحة قد أسكرت الزوجين، وأصبح طفلهما هو شغلهما الشاغل، ونسيا أنيسة وحديثها أو تناسياه. وما شأنهما بالأسد وجوفه، وهما لا يعيشان في غابة أو صحراء ؟! بل نسيا أنيسة ذاتها، فكأنما الأمر كله كان حلما، أو كأنه لم يكن على الاطلاق.

وكبر الطفل ودخل المدرسة، فكان ما كان.. ومات في جوف أسد.

ولم تقو الأم على احتمال صدمة النبأ، فأصابها الشلل لحظة سماعه. واحتمل الأب المصاب صابرا محتسبا، فهو يعيش في حزن وألم ويجتر أحزانه في صمت وايمان. فاذا خطر على باله ما حدث أو جاء ذكره على لسان، لم يزد على أن يقول:

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا. وديعة أودعها الله، ثم استرد وديعته. وليس لنا من الأمر شيء.

وسكت المتحدث، وساد الهرج والصخب بين السامعين، وانطلقت تعليقاتهم من أفواههم متتابعة:

— أمر عجيب!

— غير معقول!

— أهذا ممكن ؟!

— كلام كالأساطير أو الروايات!

وحل الليل، فقام المتحدث، ايذانا بالانصراف، ثم تبعه السامعون، يعيدون ما سمعوا، ويتناقشون فيه ويتجادلون. فاذا أسفر الصباح، كانت المدينة كلها قد أضافت الى حادث الأسد الهارب فصلا جديدا مثيرا تتحدث فيه، ولا تمل الحديث ■

اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة

تأليف الاستاذ عفيف بهنسي
عرض وتلخيص الاستاذ محمد وليد فستق

لعل من أبرز الأسئلة التي تدور في أذهان جوّالي المعارض الفنية وذوّاقيها ، تلك التي تتعلق بأسماء المدارس الفنية التي تنتمي اليها هذه المعارض . ولا تثريب ، فهذه المدارس قد كثرت وتعددت منذ غرة القرن التاسع عشر ، بشكل ملحوظ . فمنها ما ارتكز على العقل ، ومنها ما ارتكز على الانفعال ، منها ما قام على الخط ، ومنها ما قام على اللون ، حتى يكاد يغيب عن الذوّاقة التفريق الدقيق بينها .

ويبدو أن من بين السمات التي تجمع بين مختلف المدارس الفنية الحديثة عدم الاكتراث بالتقاليد الفنية القديمة ، وعدم التقيد بالواقع ، وانطلاق الفنانين في التعبير عن تجاربهم ورؤاهم الذاتية ، واستعمال الحرية المطلقة في التصوير ، شكلا وموضوعا .

ولعل من الكتب الفنية الجامعة الحديثة كتاب « اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة » للأستاذ عفيف بهنسي ، الذي يستعرض فيه الكاتب فيما لا يزيد على تسع وثلاثين ومائة صفحة ، ما لا يقل عن عشر مدارس فنية ، مع ذكر فنانيها وأعلامها .

تأتي « الانطباعية » في مقدمة المدارس الفنية الحديثة . وهي نظرة جديدة الى التصوير ، استقطبت اهتمام عدد كبير من الفنانين . ففي حين كانت المدارس الفنية السابقة تمارس أعمالها في القاعات المغلقة ، دعت الانطباعية الى التحرر من هذا القيد بالانطلاق الى الرسم في الهواء الطلق ، ليستطيع الفنان أن يرسم الأشياء مضافا اليها الانعكاسات الضوئية التي حرمت منها لوحات الأسبقين . وهكذا نظر الانطباعيون الى الطبيعة من خلال اهتزاز الألوان الطيفية السبعة ، دون الاهتمام بأشكال الأشياء التي يرسمونها وحجمها .

بيد أن ما يؤخذ على هذه المدرسة ، تطرفها فيما أمست اليه من تطبيق فني لقواعد علم الضوء وحسب ، معتمدة على العناصر الطبيعية كالماء والسماء والغيوم والأشعة ، للاستفادة من انعكاسات الضوء . وهذا ما دعا النقاد الى اعتبار الانطباعيين فناني مناظر فحسب ، واعتبار مدرستهم ، مدرسة لا تنسجم مع رسم الأشخاص والطبيعة الصامتة .

ويأتي «مانيه» ، و «مونيه» ، و «رونوار» ، و «سوراه» ، و «سيزان» في مقدمة الفنانين الانطباعيين .

وقد برزت فيما بعد ، مدرسة اعتمدت على التبسيط في بناء الأشياء بحيث يتم بمرونة وعفوية متناهية ، فنفرت من القواعد ، وحافظت على الفكرة الجمالية ، وتجنبت التقيد بالعقل .. تلك هي « الوحشية » .

وقد حاول « الوحشيون » تصوير المشاعر الغريزية ، وترجمة النشوة والفرح ، باستخدام ألوان عديدة وتضاد متباين ، وضياء ساطع . ويرى الكاتب أن هؤلاء الفنانين ، استعاروا من الانطباعيين الضياء المتهدج ، والجو المتلون ، واكتشفوا الخطوط المعبرة ، والألوان المخففة التي تعبر عن الشكل والنور في آن واحد . وانه أصبح لديهم مدرّج جديد من الألوان الصافية : كالأخضر ، والبرتقالي ، والأزرق ، والأحمر ، والبنفسجي .

ولعل ما يميز الوحشية في رأينا ، بالاضافة الى ما ذكره الكاتب ، اهتمامها البارز بالتزيين والزخرفة . فأسلوبها أسلوب جمالي بحت ، يعالج الموضوعات دون مراعاة للأمور الاخلاقية أو الاجتماعية .

ويأتي في مقدمة ركب الوحشيين « بول غوغان » الذي التفت الى الفن الشعبي البدائي ، يدرسه ويعيد تصويره ، وكذلك « هنري ماتيس » ، و « جورج روو » ، و « محمد موسى ناجي » .

وقد تقاذف الوحشية من داخلها تياران بارزان : أحدهما حمل لواء اللون المعبّر عن السطح الجميل ، وثانيهما حمل لواء الخط المعبّر عن الحجم البارز . وقد انتهت الوحشية كاتجاه لوني بعد خمس سنوات من انشائها ، الذي كان سنة خمس وتسعمائة وألف ، في حين استمر الاتجاه الثاني وتطور الى مدرسة دعيت فيما بعد بالتكعيبية ، حمل لواءها « براك » ، و « ديران » ، و « بابلو بيكاسو » .

وقد مرّت هذه المدرسة التي وجهت عنايتها الفائقة نحو البناء الهندسي للأشكال ، بأكثر من مرحلة . اذ بدأ الفنان التكعيبي ، فنانا بدائيا ، يعبّر عن الأشكال ببساطة متناهية ، مستعملا الألوان الحيادية دون غيرها ، كالرمادي ، والأسود ، والأخضر الكامد ، متلاعبا بالظلال للأيهام بالحركة . ثم أخذ في إبراز التكوينات الهندسية للأشكال ، فتخلص شيئا فشيئا من تفتيت الشكل وتجزئته ، متأثرا بالواقعية ، التي تطرف فيها البعض ، ومنهم « براك » الذي لجأ الى إلصاق قطع كالخشب ، والكبريت ، وقصاصات الجرائد على اللوحات امعانا في الواقعية ، ومحاولة التخلص من الأشياء التافهة بتأثير العمل الفني .

ولعل « التكعيبية » من أكثر المدارس الفنية المعاصرة تشعبا وتوليدا ، فقد تفرعت عنها فيما بعد مدرستان جديدتان هما : « البنائية » و « التفوقيّة » .

فالبنائية تدعو الفنان الى موضوعية صارمة ، ليس عن طريق خضوعه للحقيقة الواقعية ، وانما عن طريق تصوّر هذه الحقيقة حسب القوانين العلمية للشكل واللون . ومن الملاحظ في لوحات هذه المدرسة ، ان فنانيها يلجأون الى استخدام الحجوم المختلفة ، كالكرات والمكعبات والمخروطات ، والاسطوانات . أما الألوان فلا يستعملون منها سوى الأزرق ، والأصفر ، والأحمر .

وأما التفوقية ، فهي مشتقة من البنائية ، وهي تستند أكثر من غيرها الى أساس علمي عقلي ، وتعالج قوانين الخط واللون ، كما تهتم بالبعد وشكل المادة بحيث يبرز الصفاء والضياء في العمل الفني .

وفي رأينا أن التكعيبية البنائية تفوق غيرها من المدارس الفنية قدرة على ابراز دور الخط الهندسي وعلى التعبير الجرىء عن الأشكال بصورة فنية رائعة .

وفي الوقت الذى كانت التكعيبية آخذة في الانتشار ، كانت هنالك مدرسة أخرى تحاول الظهور بشكل مواز ، وهي التي دعت نفسها بـ « المستقبلية » . وهذه المدرسة حركة فنية وفكرية في وقت واحد ، تهدف الى التخلص من الماضي تخلصا تاما . لذا اقترحت هدم المدن الأثرية والمتاحف التاريخية ! وقد حصرت اهتمامها بدراسة انسان هذا القرن وتصويره على ضوء ما يتعرض له من أحداث وعوامل نفسانية .

أما من الناحية الفنية البحتة ، فقد نبذت المستقبلية الأساليب الفنية السابقة لها ، لاعتمادها على السكون المطلق — شأنها في ذلك شأن جميع المدارس الفنية المعاصرة — واستندت الى حركة الأجسام . وياتي « بوتشيوني » ، و « كارا » ، و « روسولو » ، و « سيفيرييني » في مقدمة المستقبليين .

ولعل المستقبلية ليست المدرسة الفنية الوحيدة التي طمحت في أن تكون اتجاها فنيا وفكريا في آن واحد . فهذه مدرسة أخرى حاولت أن تكوّن مفهوما جديدا للحياة ، من خلال نظرية عميقة وجدّية للعالم ، تلك هي « التعبيرية » .

فقد برز الفن التعبيري ، كفن يدعو الفنانين الى التصوير بمعين من أذهانهم دون الاكتراث ، بالأشياء المنظورة ، بقصد التعبير عن المشاعر بأشكال محسوسة . فهو فن عفوي وعاطفي ، يعتمد على الخط للتعبير عن الانفعالات الذاتية ، ويرتكز على اللون لاعطاء الأجواء الانعكاسية لهذه الانفعالات ، مستخدما في ذلك ألوانا قاتمة كثيبة ، تتخللها خيوط ناصعة صافية ، بشكل غير تدريجي .

وتفرّعت عن هـذه المدرسة ، مدرستان متضادتان : دعيت الأولى بـ « الحقيقية » ، وهي تستخدم أساليب « التعبيريين » دون تغيير ، وتدعو الى ضرورة خدمة الفن لفكرة معينة ذات غرض فلسفي أو اجتماعي أكثر من خدمته للجمال ذاته . وعلى النقيض منها تقف المدرسة الثانية ، « الواقعية » ، التي تخضع للطبيعة وحدها دون التأثيرات الذاتية ، وتجعل من الحياة اليومية ومشاكلها ، موضوعات رئيسية لها .

ومـن أقطاب التعبيريين البارزين « فان كوخ » ، و « ايل نولد » ، و « أنسور » ، و « موديلياني » ، و « سوتين » .

ومن بين المدارس الفنية الأخرى التي برزت في أعقاب الحرب العالمية الثانية « الدادائية » ، وشعارها الفوضى وعدم التقيد بالقيم الانسانية . وقد جاءت متحررة من كل القيود الفنية التي عرفها السابقون ، كما خلطت بين العناصر العضوية وبين العناصر الآلية ، معتمدة على حرية التخطيط ، وحرية انتقاء فكرة الموضوع . وزعيم هذه المدرسة « دوشان » .

ثم ظهرت مدرسة أخرى حاولت التعدي للدادائية عن طريق البحث عن الظواهر الشعورية للنفس ، سواء بالوسائل العلمية أو الحدسية ، بيد أنها اشتركت معها في التخلص من رقابة العقل والأخلاق ، تلك هي «السريالية» ، وقد انتشرت بين عامي ١٩٢٤ — ١٩٣٩ . وهي تعتبر بمثابة تخل عن الواقع ، والجمال ، ولجوء الى غموض الخيال والحلم البعيد .

ومن المعروف أن السرياليين تأثروا كثيرا بآراء « فرويد » في التحليل النفسي ، عندما اعتبروا أنفسهم بمثابة أدوات تسجل ما يمليه عليها لا شعورهم . ولعل هذا التأثير هو الذي جعلهم لا يرتكزون على أسلوب فني معين ، فقد كانت لكل منهم طريقته الخاصة ، بعد أن اتفقوا على التخلص من المبادىء المدرسية للتصوير .

ويرى الأستاذ « عفيف بهنسي » أنه يمكن حصر الأعمال السريالية في نوعين : فهي أما أن تكون ذات أشكال واقعية ضمن موضوع غير واقعي ، واما أن تكون ذات أشكال تجريدية غير واقعية ، وبعيدة عن ضوابط العقل والمنطق ، منسجمة مع العقل الباطن والخيال فحسب .

وقد تبع الأسلوب الأول « سلفادور دالي » ، و « بـول دلفـو » ، و «ماكس أرنست » ، و « ماغريت » . وتبع الأسلوب الثاني « تانغي » ، و « ميرو » ، و « ماسون » ، و « ماتا » .

ويبدو أن تحرر المدارس الفنية من الضوابط التقليدية ، شكلا وموضوعا وتقنية ، يبلغ أوجه لدى المدرسة « التجريدية » . فهذه المدرسة ، التي تعتبر لونا من ألوان التطرف الابداعي وضربا من ضروبه ، ينعدم فيها التصوير الشكلي كليا ، اذ تعتمد على تشخيص الظواهر النفسية ، دون الرجوع الى الأشكال المعروفة . وقد استمدت هذه المدرسة جذورها من العاطفة الانسانية المطلقة .

وان كان الاتجاه العاطفي الانفعالي ، قد جذب عددا لا يستهان به من المدارس الفنية السابقة على التجريدية ، فان هذه المدرسة قد ارتكزت على أساس عقلي ، قائم على القاعدة والنظام والبناء ، محققة بذلك توازنا موفقا بين العقل المفكر أو الباطن ، وبين الخيال المتصور .

وتشير المصادر الى أن المدرسة التجريدية لم تظهر سوى عام ١٩٤٥ . ومن بين الذين ذاع صيتهم في رحابها وتزعم اتجاهاتها «أوغست ماك» ، و « أليبرتو مانيللي» ، و « جان بازين» ، و « ماريا فيرا داسيلفا » ، و « بول كلي » .

وأجدني مدفوعا الى ايراد كلمة موجزة حول المدارس الفنية المعاصرة ، بعد أن عبرنا معا كتاب الأستاذ « عفيف بهنسي » حول اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة » عبورا سريعا .

فبصورة عامة ، يمكننا أن نحصر الاتجاهات الفنية الحديثة والمعاصرة ضمن تيارين بارزين ، هما : العقل ، والانفعال . فالتكعيبيون ، والتفوقيون ، والواقعيون يقفون مع التيار الأول . وأما الوحشيون ، والمستقبليون ، والتعبيريون ، والسرياليون فيقفون مع التيار الثاني .

كما يمكننا من جهة أخرى ، أن نتقصى الأسباب الكامنة وراء تعاقب هذه المدارس بشكل متعدد وملحوظ . وهي ، في رأينا ، تعود الى انها قد تأتي نتيجة ولادة مدارس ذات اتجاه متطرف ، كما جاءت الواقعية مقابل الحقيقية ، والسريالية مقابل الدادائية . وقد تأتي أيضا نتيجة وجود جو اجتماعي معين ، كالمستقبلية التي جاءت تمحو الماضي ، والدادائية التي جاءت لتعبر عن الفوضى وعدم التقيد بالقيم عقب الحرب الكونية الأولى . وقد تأتي أخيرا نتيجة ابداعات تبلغ حد الشطط ، كالمدرسة التجريدية ، التي انعدم فيها التصوير الشكلي انعداما كليا .

ولعل السنوات القادمة ، تشهد ولادات مدارس أخرى غريبة . وان دلت فلسفة المدارس الآنفة الذكر على شيء ، فانما تدل على مدى التخبط الفكري والوجداني ، الذي تعانيه أجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كما تعكس — الى حد كبير — أجواء القلق والضياع الذي تعيشه الأجيال الحاضرة في شتى بقاع الكون . ولسوف يعود الفن المدرسي الى تبوء مركزه ، عندما يشهد العالم مزيدا من الاستقرار والسلام ■

طرائف

كرهاً .. لا طوعاً

كانت التلميذة تروي لأمها كيف تعلمت أن تعمل الكعك في حصة التدبير المنزلي في المدرسة .

فسألتها أمها : وهل تسمح لكنّ المعلمة بأكل الكعك بعد أن تعملنه ؟

الابنـــة : كلا .. بل تجبرنا على أكله !

فقط ست عشرة ساعة !

لم يأخذ الرجل قسطا كافيا من النوم فجلس عابسا على مائدة الفطور ، فقالت لـه زوجته : هيا .. هيا لا تعبس هكذا ! كن متفائلا .. ان هي الا ست عشرة ساعة أخرى فقط وتعود للنوم مرة ثانية .

مشط يتحوّل الى فرشاة !

الـزبـون : هل هذا الدواء ينفع للصلع ؟

الحـلاق : بكل تأكيد يا سيدي ، ففي الأسبوع الماضي وضعت قليلا منه على مشطي والآن أنظر ! لقد تحول الى فرشاة .

سرية ؟!

جاء السكرتير الجديد ببعض الرسائل التي طبعها بعد أن أملاها عليه رئيسه ، ووضعها أمامه . ولما قرأها الرئيس وجد بها أغلاطا كثيرة ، فصاح قائلا : ما هذا ؟ ألم تقرأ الرسائل بعد أن طبعتها ؟

السكرتير : كلا يا سيدي ظننتها رسائل سرية .



بداية سيئة !

طبيب الأسنان : وما الذي يؤلمك ؟

المـــريض : قدمي !



مجرد ببغاء

المؤلف : هل رأيت كيف هاجم هـذا النـاقد روايتي الأخيرة في جريدته ؟!

الصديق : لا تكترث به .. انه ليس الا ببغاء يردد ما يقوله الناس .



كيف ترى الصداع ؟

« كنت دائما أشعر بالصداع ، أما الآن فانني أراه »



أصبح السجاد المصنوع من مادة "البوليلوم" المستخرجة
من الزيت يستعمل بكثرة داخل البيوت وخارجها لقوته
وقدرته على الاحتفاظ برونقه وعدم تأثره بتقلبات الطقس
عن مجلة "بوليتن"